

يوسف إدريس الجنس الثالث



مكتبة علي بن صالح الرقمية

يوسف إدريس



البحث عن السادات

مسرح

1970



كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

تقديم (برولوج)

(يُفتح الستار الأول على حجرة معمل الدكتور آدم. الحجرة جديدة حديثة وأجهزتها تُمثِّل آخر صيحات التكنولوجيا، أجهزة مختلفة معظمها موضوع فوق «بنش» لامع السطح في طرفه حوض ماء وصنبور مركَّب فيه جهاز شفط. على رفٍّ جانبي ميكروسكوب معقَّد التركيب وأقفاص من السلك بها بعض حيوانات التجارب، مثل الخنزير الغني، والفئران والأرانب وقدرد إن أمكن. على الجدار المُواجه لوحة كبيرة هي صورة للتركيب الداخلي لجزيء حامض «د. ن. أ» وهو أهم مكون لنواة الخلية الحية. هناك مكتب جانبي صغير أنيق ودواليب من الزجاج.)

(آدم شاب في الثلاثين، وسيم جاد، ومن عينيَّه يشعُّ ذكاء حاد، يقف أمام طرف لجهاز معقَّد، أمام الطرف الآخر تقف «نارة» مساعدة المعمل، فتاة من النوع «البوئيش» في العشرينات، شعرها قصير، وجهها لذيذ، نحيفة القوام، لا تضع أي معدات تجميل، الاثنان يرتديان فوق ملابسهما معطفين أبيضين.)

آدم: كل ثلاثين ثانية خُدي قراية.

نارة: أرصد النهاية العظمى والصغرى مع بعض، ولَّا الصغرى بس؟

آدم: أنا امبارح قلت إيه؟

نارة: قلت العظمى.

آدم: خلاص تبقي ترصدي العظمى.

نارة: بس النهاردة الصبح قلت لي الصغرى.

آدم: آه. افكرت. ارصدي الصغرى، صح.

نارة: أنا بقى ح ارصد الاتنين لأنى متأكدة إنك على بعد الظهر ح تكون غيّرت رأيك.

آدم (راميًا إياها بنظرة جانبية): ما سمعتيش على الألسنة اللي زي الضوافر لازم كل شوية تتقص.

نارة: وسمعت برضه على الناس اللي ما بيستلطفوش الحق لله في الله.

آدم: كدة؟ طب انتي عارفة الحق، الحق بقى انتي إيه؟

نارة: أنا مساعدة فنية درجة سابعة على سن ورمح.

آدم: جايز، بس انتِ اسمك الحقيقي «لاب بوي» يعني صبي المعمل، ومن هنا ورايح مش ح اقول لك إلا يا صبي.

نارة: كل الأنوثة دي وصبي!

آدم: عندك حق، كل الأنوثة دي لازم لأكبر من صبي، لراجل.

نارة: يا دكتور آدم، ما تحاولش تغيظني، ولا تعقدني ... أنا عندي ثقة تامة في نفسي، أنا لما كنت في الكلية كان عشرة بيكتبوا فيّ شعر، وشعر حديث كمان. إنت بس الوحيد اللي مُصِر، والشمس قدامك مش قادر تفتّح من نورها، انها مش طالعة، ذنب الشمس إيه؟

آدم: ذنبها إيه صحيح، دا الشمس أنثى.

نارة: طب ما أنا كمان مؤنث.

آدم: فشر، دا انتِ قمر.

نارة: ميرسيه.

آدم: بالمناسبة القمر مذكر.

نارة: والله لولا إنك رئيسي لكنت وريتك أنا أنثى ازاي.

آدم: الحمد لله إني رئيسك.

(نارة تفتح فمها إلى آخره وكأنها تهتم بالصراخ، آدم يشير لها بيده أن «خلاص»، فيبقى فمها مفتوحاً دون أن تصدر صوتاً.)

آدم: ولو فيها رزالة ... ممكن تقفليه؟

نارة: اسمع يا دكتور آدم.

آدم (مقاطعاً): اسمعي انتِ، بعد خمستاشر ثانية بالظبط ح نبتدي، والقراية كل ٣٠ ثانية، الأول العظمى وبعدين الصغرى، عُلْم؟!

نارة: عُلْم ومخاصماك.

آدم: آدي نتيجة إدخال المرأة في مجالات علمية خطيرة زي دي، ببساطة تيجي لك قبل التجربة، وإيه؟ أنا مخاصماك، والمصيبة إنها جاوز تعملها وما تقلشي ع النتائج.

نارة: دلوقتي مين اللي ...

آدم (مقاطعاً بلهجة جادة جداً): ١٥، ١٤، ١٣، ١٢، ١١، ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢، ١ ابتدي ...

(يضغط على زر، يصدر عن الجهاز صوت وتصبح له تكة منتظمة.)

نارة: ١٣، ٥.

آدم: مش بطل.

نارة: ٨٨، ١.

آدم: غريبة جداً.

نارة: ١٣، ١٠.

آدم: استمري.

نارة: ٢٦، ١٤.

٣، واحد من عشرة.

(يستحيل صوتها إلى غمغمة كمن يُسمَع جدول الضرب.)

٥، ١,٥

٩٦، ١٣

٣٨، ٧

٧، ٧

(فجأة يدوي صوت غريب، صوت أنثوي عميق جدًا، لا تكاد تعثر له على قرار، أمرٌ بكل قدرته على الإيحاء، يُحبب إليك ما يطلبه ويجعله سهل التحقيق في نظرك حتى لو كان يطلب أن تقتل نفسك.)

الصوت: هوووه.

آدم: اس ...

نارة (سادرة في غمغمتها): ٧، ٧.

٧، ٧

٧، ٧

الصوت: هوووه (أقرب وأعمق وأشد نفاذاً).

(رغمًا عنه يتوقف آدم عن التطلُّع إلى الجهاز ويرفع رأسه قائلاً بلا وعي.)

آدم: هوووه.

(في الخلفية نارة مستمرة في الرصد وغمغمة الأرقام ٧، ٧.)

الصوت: هوووه ... عندك ميعاد في العتبة.

آدم: إيه؟ ... أنا ... مين؟

الصوت: هوووه ... عندك ميعاد في العتبة.

(يظل آدم مذهولاً بعض الوقت، ولكنه لا يلبث أن ينفض رأسه وكأنما يُفيق من حلم يقظة.)

نارة: ٧، ٧.

٧، ٧

آدم (باندعاش): العظمى سبعة والصغرى سبعة، مش معقول.

نارة: بقى لها كدة سبع قراءات.

آدم: دي ظاهرة غريبة، دا كأن عنصر الزمن توقّف.

نارة: ١٣، ٢.

آدم: بدأ يتحرّك.

نارة: ١٥، ٣.

آدم: أحسن.

نارة: ١٢، ٤.

(آدم يُغمغم مستحسنًا.)

نارة: ١٠، ٥.

٦، ٧

٧، ٧

الصوت: هوووه.

آدم (بوجل): هوووو.

الصوت: عندك ميعاد في العتبة.

نارة (مستمرة): ٧، ٧.

٧، ٧

٧، ٧

(آدم، كالمَنوَم، يترك «البنش» ويتجه إلى باب الخروج.)

نارة: رايح فين يا دكتور؟ الحق النتيجة عندك.

(لا يرد آدم ويخرج.)

نارة: ٧، ٧.

٧، ٧

٧، ٧

٧، ٧

(تُسمع «تَكَّة» ويتوقف الصوت الذي كان يصدر عن الجهاز.)

نارة: باظت التجربة، إيه اللي جراه؟ حتى لو كان عايز يروح التواليت ما كانشي قادر يستنى دقيقة كمان؟ آدي نتيجة إدخال الرجالة مجالات العلم.

(فجأة يدخل آدم وقد تغير تمامًا وعاد إلى طبيعته حيًّا مليئًا بالحياة.)

آدم: أسف يا نارة، أظن لازم نعيدها.

نارة: أنا مستعدة أخسر شهر من عمري وأعرف إيه اللي سيِّبك التجربة.

آدم: حاجة كدة تموت م الضحك.

نارة: تسمح تقولها لي.

آدم: حاجة ما تتقالشي، هايفة يعني، أنا نفسي باستغرب ازاي تسييني التجربة وأخرج، ياللا، ياللا، ح نبتدي تاني، استعدي بعد عشر ثواني ح نبتدي، هه: عشرة، ٩، ٨، ٧ ...

الصوت: هوووه ... بنقول عندك ميعاد في العتبة.

(إلى كائن آخر يتحول آدم، يستدير كالمنوم.)

نارة: دكتور آدم، جرى إيه؟ مالك؟ فيه إيه؟ وقفت العدد ليه؟

(ينظر لها وكأنه لم يعد يراها.)

إخص عليك. منظر ك يخض. إنت عايز تخضني؟ أنا ابتديت أخاف!

(يستدير بلهفة ثم ينطلق كالسهم خارجًا من الباب.)

(ستار مؤقت)

(على موسيقى الافتتاح تبدأ عناوين المسرحية تظهر معروضة بالفانوس السحري.)

الفصل الأول

شخصيات الدراما

آدم: شاب في الثلاثين طويل أنيق وسيم تبدو عليه علامات الذكاء والتوهج.
نارة: فتاة في العشرين، عصرية تمامًا، شعرها قصير وشخصيتها حادة ساخرة ومن النوع الصادق المندفع.

عشماوي: في الخامسة والخمسين، سمين جدًّا، أسمر، صوته مخالف تمامًا لما يجب أن يكون عليه من ضخامة، يخرج على هيئة فحيح كأنما من بطنه يتكلم.

العالم: في الخمسين: فيه كل ما في الخمسين من جمال، بذقنه المقفلة بالبياض وشاربه المهندم وملابسه البيضاء البالغة النظافة.

هيلدا: امرأة عارمة الأنوثة، طاغية الشخصية، ذهبية الشعر الناعم كالحرير، أناقتها من نوع غريب وكأنها ترتدي أزياء المستقبل.

الكائن: الكلب الخروف.

٧ سيدات أشجار.

٧ شجرات رجال.

رجال وسيدات وأطفال من مختلف الأعمار.

الزمن

الوقت الحاضر.

المنظر الأول

(المكان: ميدان العتبة، بالتقريب المنظر هو الدائرة التي تحتل مركز الميدان، فيُعد المسرح بحيث يُحاط بصورة فوتوغرافية تُكوّن الأضلاع الثلاثة للميدان؛ بحيث نُحس أننا في سُرة الميدان، في وسط السُرة «دكة» رخامية.)

(قبل رفع الستار ومع نهاية موسيقى الافتتاح تبدأ الساعة تدق الساعة، عند الدقيقة السابعة بالضبط ترفع الستار.)

(وأيضًا ومع قرب نهاية الموسيقى وبداية دق الساعة نبدأ نسمع ضجة ميدان العتبة المعتادة، إما منقولة مباشرة من الطبيعة بميكروفون من الميدان إلى داخل المسرح وإما مسجلة بالطريقة التقليدية.)

(الميدان وإن كان يزخر بالناس في محيطه ووسطه إلا أنه عند السرة، المارة الذين يعبرونها قليلون نلمحهم بين الحين والحين يعبرون المسرح من جانب إلى جانب، أناس من مختلف الأعمار والأنماط وإن كان معظمها من أنصاف الفقراء.)

(نلمح آدم لا يزال مرتديًا البالطو الأبيض فوق القميص والبنطلون وقد تهدل البالطو واتسخ كثيرًا. حركته تختلف عن حركة المارة فهو يدور حول سرة الميدان في دائرة واسعة بعض الشيء مركزها الدكة الرخامية، ومع مضي الأحداث تضيق الدائرة التي يتحرك فيها بحيث ينتهي بالوقوف عند الدكة. نلمحه يقوم بحركات عصبية وكأنه يعاني من تشنجات داخلية تتفجّر على ملامحه وتنتهي بأن يُكلم نفسه.)

آدم: أديني في العتبة أه، بقالي يومين وأنا في العتبة، وعندك ميعاد في العتبة، وادّيني في العتبة، الميعاد فين ومع مين معرفشي، آدي العتبة وآدي الناس وآدي أنا.

(فجأة يقترب من أب معه طفلان، ويندفع ناحيته قائلاً):

تسمح من فضلك.

(الرجل وأطفاله يَمْضون وكأنهم ما سمعوه أو رأوه.)

(يعضُّ آدم على شفّتيه غيظًا ويندفع ناحية سيدة بلدي ترتدي الملاية اللف وتَحمل فوق رأسها بقجة.)

يا ست، إنتي يا ست.

(يضع فمه فوق أذنها.)

إنتي يا خالة.

(المرأة تمضي وكأنها لم تلحظ شيئًا.)

الله، إيه الحكاية، كانوا بيسمعوني الأول ويكلموني، إيه اللي حصل؟
(يلمح بائع السميط مقتربًا) يا بتاع السميط ... يا بتاع السميط

(بائع السميط وقد اقترب منه بدلًا من أن يرد عليه يجلس على الأرض ويضع السبّات بجواره وينفضُ حذاءه. آدم أثناء دورته التالية تكون الدائرة قد ضاقت بحيث يُصبح بائع السميط خارجها، يحاول الاتجاه إليه فلا يستطيع ولا يبقى ألامه إلا أن يُكمل الدائرة، تنتاب آدم حالة هياج ويرفع صوته.)

يا ناس، يا بني آدمين، ياخينا، يا ست، يا ابني، يا عم، يا خلق.

(فجأة يقبل أفندي رفيع جدًّا ونحيل في عكس اتجاه سير آدم مندفعًا ناحيته في ترحاب فاتحًا ذراعيه وعلى وجهه ابتسامة واسعة. آدم يتوقّف عن هياجه ويبتسم ويفتح ذراعيه ويهمُّ بالاندفاع تجاهه.)

آدم: إنت فين م الصبح يا سيدنا؟

(ولكن الرجل يتجاوز به حركة مفاجئة ويخبط رجلًا سمينًا آخر على كتفه قائلاً):

الرفيع: قفشتك يا برغوت.

السمين: خضيتني الله يجازيك.

آدم (بصراخ): أعمل إيه؟ أضحك؟ ألطم؟ الكون اختل، بالتأكيد الكون اختل، دا أنا عالم وإيماني بالعلم زي إيماني بالله، تحصل معايا الخزعبلات دي؟! ما هو حاجة من اتنين؛ يا إما وباء جنوني اجتاحني أنا والناس من غير ما نعرف، يا إما أنا أمام ظاهرة خارقة بتكسر كل قوانين العلم ونظرياته، أنا ابتديت أخاف، أنا لأول مرة في حياتي أرجع طفل ميت م الرعب.

(يفطن إلى أن دوراته بدأت تضيق وكلما حاول توسيعها تضيق أكثر.)

هزار ده ولا إيه؟ كمان شوية أتسمّر في مكاني (فعلًا يثبت في مكانه أمام طرف الدكة) دي حاجة مُمتعة جدًا (يُحاول التملّص وبكل ما يملك من قوة يُحاول تحريك ساقه بلا فائدة، يَنهار تعبًا وإعياءً فوق طرف الدكة) أنا انتهيت، أنا جعان، أنا جعان قوي، يومين بليلتين وأنا على اللضى، أنا ميت م العطش، أنا على الفجر ح اموت.

(يظهر شخص غريبة تركيبة جسمه، سمين أسمر يرتدي رداء السائقين الرسمي؛ بالطو أبيض ذو ياقة ملوّنة وعلى رأسه كاب أنيق، ويرتدي قفازات بيضاء، يبدأ يدخل المشهد من ناحيته اليسرى ويدور دورة واسعة حول سرّة الميدان، طريقة مشيه طريقة خاصة تبعث على الضحك.)

آدم: يكونشي لما تحدّيتهم زعلوا؟ أصلي صممت لما نزلت من المعمل إني مش حا اروح ناحية العتبة خالص، ركبت الأوتوبيس اللي رايح الجيزة، حتى وانا باقطع التذكرة سألت الكمساري: جيزة؟ أيوة جيزة، بعد محطة أبص م الشباك الأقي الأوتوبيس في شارع عبد العزيز وأن المحطة الجاية هي العتبة، صرخت في الكمساري: إنت مش قلت لي الجيزة، بص لي كإني مجنون وقال: أنا مش قدامكم قايل له ميت مرة العتبة؟ نزلت رحت ناطط في الترماي اللي جاي م العتبة رايح السيدة، على بال ما قطعت التذكرة بصيت لقيت الترماي كأنه نقل ع الشريط الثاني وراجع العتبة، الراجل ده فات من هنا مرة ودي الثانية.

(يُتابعه بعينه ويدور معه برأسه إلى أن يمر للمرة الثالثة من أمامه وقد أصبح أقرب.)

أما راجل غريب قوي (يهمس وهو ينظر ناحية الرجل) دي كانت بداية المهزلة، لما لقيت نفسي غصب عني في العتبة حاولت أجري واهرب من أي شارع طالع منه، كنت أوصل لغاية أول الشارع ورجلي تتسمر في الأرض ما تتحركشي ولا سَنتي وأدركت إني خلاص اتسجنت في الميدان، إيه اللي يجيب واحد زي ده في نص الليل ويقعد القعدة دي (الرجل كان قد وصل إلى الدكة وثبت أمام طرفها الآخر دون أن يعير آدم أي اهتمام ثم لا يلبث أن يجلس مولياً آدم ظهره).

والمصيبة معرفشي أنا ح انتهى بعد يومين من اللف والدوران إني أبقي سجين الدكة دي. (فجأة يتنهَّد بعمق ويغير لهجته مخاطباً الرجل) والله ما دام جيت برجلك لحاطط همي فيك ومتسلي عليك لغاية لما نشوف آخرتها إيه، إنت قطاع عام ولا خاص يا عم؟ لازم عام، بقى معقول واحد في تُخَنك ما يتأمش، اسمع يا سيد ... يا سيد قشطة، إنت يا لوح (تنتابه حالة هستيرية) يا تلح، يا بجم، يا كركدن.

(يلتفت الرجل فجأة مسدداً عيوناً مُلتهبة إلى آدم.)

(مواصلاً كلامه) يَحْمُوك في كنكة.

الرجل: إنت قليل الأدب، وحظك كويس إني تعبان، دا أنا عمري ما حد شتمني يقوم حلاق زيكَ يهزأني، صبرك عليّ بس اما استريح.

آدم (بفرح وخجل وعصبية): دا سمع! إنت سمعتني يا ريس؟

الرجل: ليه؟ فاكرنى أطرش؟ دلوقتي أوريك.

آدم: أنا ح اتجنن أكيد، قول لي وحياة والدك إنت سمعتني وبتكلمني أنا؟

الرجل: ح تستهبل عليّ؟ صبرك عليّ بس، والله ما انت فالت من إيدي.

آدم (بتضرُّع حقيقي): أنا في عرضك قول لي انت شايفني زي ما أنا شايفك وسامعني زي ما أنا سامعك؟

الرجل (بمشروع ضحكة مضحكة): لا مؤاخذه انت باينك «وَش» شوية.

(بائع السميط يمر من أمامهما.)

آدم: أبداً والله، دلقتني تشوف.

الرجل: أشوف إيه؟

آدم: يا بتاع السميط (لا يلتفت البائع فيصرخ بأعلى صوته) يا بتاع السميط!

الرجل (لبائع السميط): ما بتردش ليه يا أخينا (البائع لا يلتفت إليه) الله، إنت يا جدع انت.

(البائع وكأنه لم يسمع يتوجه إلى وسط الدكة وكأنها فارغة تماماً وينام عليها واضعاً ساقيه فوق فخذي الرجل.)

الرجل (بغضب يمد يديه ليرفع قدمي البائع ولكن يديه لا تتحركان): الله، الله، الله!
آدم: شفت بقى.

الرجل (يحاول الوقوف أو الحركة بلا فائدة): يا ام هاشم، إيه ده؟! اللهم اجعله خير، إوعى يا رب يكون شلل.

آدم: يا ريته شلل كنا عرفنا سببه.

الرجل: هو انت راخر كدة؟

آدم: بقى لي ٧٢ ساعة وانا كدة.

الرجل: الله الله الله، دي حكاية إيه بقى؟ دا شغل جن، لازم الراجل ده «قدمه» وحش، دي حتى ريحتها تقرف بلد، اشمعنى أنا وانت يعني؟

آدم: مش عارف، من ساعة هوووه وانا مش عارف حاجة.

الرجل: بتقول ساعة هوووه، هو انت راخر؟

آدم: أيوة أنا راخر، هما قالولك إيه؟

الرجل: ألبس سواق قال، وآخذ العربية البويك اللي ح القاها قدام باب محطة مصر
عشان عندك ...

آدم والرجل: ميعاد في العتبة.

(صمت)

آدم: يعني ميعادي بقى لازم وياك.

الرجل: علمي علمك.

آدم: ما قالولكشي حاجة تانية؟

الرجل: ولا كلمة زيادة عن اللي قلتهاولك.

آدم: يبقى لازم سايبين الباقي لذكاءنا، نتصرف احنا بقى، إنت أصلًا سواق مش

كدة؟

الرجل: ولا عمري سقت عربية.

آدم: الله، أمال جبت العربية من باب الحديد لهذا ازاى؟

الرجل: علمي علمك.

آدم: ما تعرفشي صاحبها مين؟

الرجل: الله أعلم، دي حتى مكتوب عليها موديل ٧٥ واحنا لسة في سنة ٧٠.

آدم: أمال انت بتشتغل إيه؟

الرجل: أنا موظف في مصلحة السجون.

آدم: سجان يعني؟

الرجل: أصلًا سجان إنما منتدب.

آدم: منتدب إيه؟

الرجل: انا اسمي عشاوي، ما تسمعشي على عشاوي؟

آدم: عشاوي اللي بيشنق الناس؟

الرجل: أعمل أيه دي حاجة بالوراثة.

آدم (لنفسه): بقى ميعادي مع عشاوي، أما حتة ميعاد!

الرجل: لا مؤاخذه بتقول إيه؟!

آدم: بقول خير إن شاء الله، معرفة خير!

الرجل: إن شاء الله ... كله خير!

(بائع السميط يكون قد أخذ في عدّ ما تبقى في «السبت» من سميط تقلت منه سميطه في اتجاه فم آدم فيقضم منها قضمه كبيرة، البائع يمدّ يده دون أن ينظر خلفه ليتناولها فيكتشف القضمه، ينتابه الانزعاج ويعتدل فيرى وكأن لا أحد هناك فينتابه الرعب.)

بائع السميط: بسم الله الرحمن الرحيم، أعوذ بالله من الشيطان، أعوذ بالله من الشيطان!

(ينطلق جاريًا مختطفًا سبته ناسيًا حذاءه فوق ساقي عشاوي.)

عشاوي: وحضرتك بقى حلاق ستات ولّا رجالة؟!

آدم: لا والله للأسف لا كدة ولا كدة، لسوء الحظ أنا عالم!

عشاوي: عالم بإيه بقى إن شاء الله؟!

آدم: زي ما تقول باحاول أعادل اللي أنت بتعمله، أنت بتموت وأنا با أحيي!

عشاوي: بتحبي المشنوق؟ إنت عايز تكفر؟!

آدم: لا سمح الله ... با أحيي حاجات على قدي!

(الساعة تدق معلنة سابعة، بعد الدقة السابعة مباشرة يكف عشاوي عن تطلعه إلى آدم ويلتفت أمامه فجأة وقد أغمض عينيه.)

عشاوي: هوووه! ... حاضر ... من غير ما أدوس عليه ... نطلع كيلو فوق بالعربية ... مفهوم، اللي يختاره، دقيقة واحدة ما فيش غيرها ... هوووه (ويبدو وكأنما يفيق).

آدم (بترقب مُرعب): خير؟

عشاوي: ياللا بينا.

آدم: على فين؟

عشاوي: نركب العربية.

آدم: ونروح فين؟

عشاوي: كيلو فوق.

آدم: ونركبها ازاي واحنا متسمرين في مطارحنا؟

عشاوي (واقفًا بسهولة): ياللا بينا.

آدم (يحاول القيام فيقف): الله، دا أنا وقفت.

عشاوي (متحركًا خطوة): ياللا بينا.

آدم: ياللا إيه؟ هو الأمر جالك إنك تشنقني؟

عشاوي: ما عنديش أوامر بالشنق.

آدم: وإذا قلت لك مش جاي، حاتعمل إيه؟

عشماوي: ولا حاجة، الأوامر اللي عندي أسيبك بحريتك، عايز تيجي تيجي، مش عايز انت حر.

آدم: يعني أنا حر أقدر أتحرك (بخوف شديد يمد ساقه فإذا بها تتحرك يجرب المشي فيمشي، يحاول القفز فيقفز) دا أنا بقيت حر صحيح: دا أنا أقدر أجري، أنا حا أجري، سلام عليكو.

عشماوي: أنا حا استناك دقيقة واحدة، ماجتشي، حا امشي.

آدم: وإذا قلت لك مش جاي، حاتعمل إيه؟ ما تتعبشي نفسك، امشي من دلوقتي (ينطلق جاريًا وصوته يتباعد) أنا حر، الكابوس راح، أنا حر أقول لأ، لأ ... لأ ...

...

(بينما صيحات آدم الفرحة تأتي من بعيد متلاشية شيئًا فشيئًا، يقلب عشماوي شفتيه وينظر في ساعة الميدان.)

عشماوي: ... باقي ثواني وتخلص الدقيقة.

(يستدير متحرّكًا بخطى ثابتة في اتجاه العربية.)

(من بعيد يأتي صوت آدم وقد عاد يقترب.)

صوت آدم: ... استنى ... استناني ... أنا جاي معاك ... استنى.

(يدخل المسرح كالسهم وفي وثبتين يُصبح بجوار عشماوي.)

عشماوي (يتأمله بمشروع ضحكة): غيرت رأيك ليه؟

آدم: لما بقيت حر إنني أختار، اخترت آجي.

عشماوي: ما انتاش خايف؟

آدم: ما اكدبشي عليك خايف، إنما أنا هويت العلم لأن العلم مغامرة لاكتشاف أي مجهول، حتى لو ضاعت حياتي وأنا باكتشف المجهول أحسن مليون مرة ما تضيع يوم

ورا يوم وأنا عايش في المعلوم، أنا لازم أعرف إيه الحكاية.

عشماوي: بس اعمل حسابك ... الأوامر إنك ما دمت جيت من نفسك فبعد كدة خلاص ما فيش رجوع.

آدم: أنا جاي وعارف كويس قوي إن ما فيش رجوع.

(يستديران ويتجهان صوب العربية.)

(ستار)

المنظر الثاني

(المشهد صحراء جرداء قاحلة صفراء، مسافة واسعة جدًا من الأرض الغليظة غير المستوية.)

(الوقت هو الظهر تمامًا والضوء شديد والشمس في منتصف السماء.)

(صوت عربية قادمة، يعلو حتى نحس أنه أصبح داخل كواليس المسرح ... صوت فرامل، تتوقف العربية بينما الموتور لا يزال يعمل.)

صوت عشماوي: انزل.

صوت آدم: احنا فين؟

صوت عشماوي: على علو كيلو والرحلة انتهت. انزل.

صوت آدم: مش نازل.

صوت عشماوي: احنا اتفقنا ما فيش خيرة، انزل.

صوت آدم: أنزل ازاي بس؟

صوت عشماوي: كدهه.

(يسمع صوت باب العربة يفتح، ثم يغلق، ثم يجار موتور العربة وكأنما تمر بطريقة غير مرئية عبر المسرح من اليمين إلى اليسار، آدم يدخل جاريًا وكأنما خلف العربة، وأيضًا يعبر المسرح في اتجاه اليسار.)

آدم: استنى، سايبني ورايح فين؟ استنى يا وغد استنى.

(ثم بيأس وينفض يده من الجري، ويقف ويبدأ يتطلع حوله، فيزداد هلعًا.)

احنا فين؟ أنا متأكد إن احنا ما مشيناش كثير، أنا فاكركويس والعربية رايحة ناحية ترب الإمام الشافعي، ومتأكد إننا مشينا في سكة المقطم وبدينا نطلع، طريق غريب مش هو الطريق، كان باين إنه بيتعمل قدامنا على طول وبعد ما نمر عليه بينطوي ورانا طي، أنا حاسس إن القاهرة مش بعيد، أقدر أرجعلها ماشي، إنما في أي اتجاه أمشي؟ أي غلطة ممكن توديني الصحراء الشرقية يعني الموت، الموت عطش، أعمل إيه؟ مش ممكن أفضل هنا، المرة دي لازم أتمرّد، أنا جاي لمغامرة ومخاطر مش جاي أنفج ع الشمس واتسجن في الصحراء، الشمس نار، الأرض نار، ومن أول امبارح وأنا عطشان.

(فجأة يُمسك رأسه بيديه.)

اثبت يا آدم، اعقل واثبت، وفر جهدك، حتى الكلام بطله، ميت مرة يثبت لك إن ما فيش فايده م التمرد ما دام بينتهي بالخضوع، إنت بتواجه قوى أكبر منك ومن علمك، اخضع، امتثل واخضع، خلي هدفك الانتظار، مش ممكن دي تكون نهاية الأشياء.

(يتكوم في منتصف المسرح واضعًا رأسه بين كوعيه.)

(تُشرق الشمس من ناحية اليسار، تتوسط السماء، تتحدر ناحية اليمين ويحمر ضوءها وتغيب، ظلام ... ثم تُشرق من اليسار وتتوسط السماء ثم الشفق والمغيب والظلام وتعود تُشرق وحين تتوسط السماء يرفع رأسه ناحيتها ويظل يحرق، وحين يتعب يُحاول أن يعيد رأسه إلى وضعها فلا يستطيع تحويل بصره عن قرص الشمس.)

آدم: الله، مش قادر أحول عينيه عن الشمس، نورها بيخترق مخي عمال بيسحب وعيي، عقلي بيسخن، بيتحلل، مخي بيسيح وبيدوب وبيغلي وبيتبخر، ومش قادر أسحب نظري منها، أنا بقيت عبّاد شمس (يسكت، وكعباد الشمس يظل يتبع الشمس بعينين جاحظتين وهي ببطء تتحدّر إلى اليمين ويبدأ ضوءها يحمر، وحين تغيب تمامًا وراء الأفق يكتشف أنه قد استرد قدرته على تحريك رأسه فيلنقت إلى الناحية الأخرى «أي إلى اليسار»، ويُفاجأ حين يرى بابًا هائل الضخامة يمتد من ناحيته سور عليه زرع أخضر، الباب من الحديد القديم الذي تراكم فوقه الصدا طبقات فوق طبقات، من خلال حديد الباب نرى شبح مدينة كاملة كمدينة الأحلام مضاءة في الليل بنور غريب كأنه مصنوع من مزيج من ضوء الشمس والقمر، لدى التفتاته يشهق في هلع وينتصب واقفًا، ثم يهمس لنفسه بصوت كالضحك):

آدم: دا كله جه منين؟ الضهر ما كانشي فيه حاجة، إزاي اتوجد ده كله في ساعات؟ دا الباب ده عمره مئات السنين، والزرع ده قطعًا اتزرع قبل أنا ما اتولد، وإيه اللي جوه السور؟ دا مدينة زي مدن الأحلام، يتعمل دا كله إزاي في نص يوم؟
(يمسك رأسه بيديه.)

اركز، اثبت، الدهشة الشديدة ممكن تطير عقلك، زي ما اتعودت الخضوع، تعود التسليم (مغيرًا لهجته) بس عطشان عايز اشرب، ولازم اخش، إيه القوة اللي تفتح باب زي ده؟ افتح يا سمس، جعان وعطشان وعايز أنام، عايز أنام.

(يرتكز على السور المجاور لفتحة الباب وينام.)

(موسيقى تنتهي بصوتها يقول):

صوت هي: ... هوووو.

(يقفز برأسه من غفوته.)

آدم: هوووو.

صوت هي: ادخل.

(ومع الكلمة تَتَفَتَح ضلفتا الباب الهائلتان وكأنما من تلقاء نفسيهما، ويبدو خلف الباب ممر تقف على أوله بضع شجرات قد تطوّر شكلها عن الأشجار التي نعرفها حتى اقترب من صورة شبه آدمية بعضها ممشوق الجذع، وبعضها به انبعاجات وبعضها عجوز تقوس ظهره، رعوسها بما فيها من فروع وأوراق تشبه في شكلها العام بعض تسريحات الشعر المنتشرة هذه الأيام.)

الشجرات (في صوت واحد): اتفضل خش.

(آدم يقف مبهوراً يتطلّع هنا وهناك ليعرف مصدر الصوت.)

شجرة جميز: ما تخافش ... احنا اللي بنكلمك.

آدم: إنتو مين؟

الشجرة الزعيمة: احنا الشجر اللي قدامك.

(بقية الشجرات يَهمس بعضها لبعض.)

شجرة التمر حنة: والنبي شكله حلو.

شجرة التوت: نفسي يحك دقنه الطويلة دي في جذعي.

شجرة السنط: أنا النوع ده ما يعجبنيش.

النخلة: بس باين عليه طيب.

شجرة التمر حنة: اسمعوا، إنتو تسييوهولي كدة من غير مطرود.

آدم: هو الشجر هنا بيتكلم؟

شجرة التمر حنة: وبيغني كمان ولو حبيت يرقص.

شجرة الجميز الزعيمة: ما تخافش ... خش ...

(بعد تردد يدخل.)

(تحيط به الشجرات، بينما تلتصق بجانبه شجرة التمر حنة.)

شجرة الجميز: اعتبرنا زي اخواتك تمام، احنا مش أغراب، أنا جميزة، ودي جوافة، ودي توتة، ودي نخلة، وطنط سنطة، والموزة، واللي جنبك دي ...

التمر حنة (مكملة): التمر حنة.

آدم: تشرفنا، وحاتخدوني على فين إن شاء الله؟

الجميزة: كل اللي أقدر أقول هولاك إن «هي» عايزاك.

آدم: «هي» مين؟ ... مين «هي» دي؟

الجميزة: احنا نفسينا عايزين نعرف هي مين.

(إظلام أو ستار)

المنظر الثالث

(مع عودة الإضاءة — أو رفع الستار — يكون السور قد اختفى ويكون المنظر قد أصبح داخل حديقة مليئة بالأشجار البرية كثيفة كالغابة، وتحسُّ أن الموكب قد قطع شوطاً كبيراً، هناك على البُعد من عمق المسرح الأيمن تبدو انعكاسات أشعة كما لو كانت تدل على وجود مدينة هناك.)

الجميزة: أظنك تعبت، نعسكر هنا ونبات.

آدم: أنا بس جعان، بقالى سنين ماكلتش، وعطشان، بقالى سنين ماشربتش.

الجميزة: ما عندناش يتاكل إلا جوافة ... تاكل جوافة؟

آدم: زي بعضه، أي حاجة.

الجميزة: يا جوافة ... هزّي وسطك شويه ونزلي له كام حباية مستوية. وانتى يا نخلة، مدي جدورك وهاتى له من تحت الأرض مية.

جوافة: بس انتى عارفة يا ريسة إن جذعي ما بتحركوش إلا المزيكة.

الجميزة: خلاص، رقصوها رقصة سقوط الجوافة.

(على نقرة غريبة وتصفيق خشبي كأنه صادر عن شجر الغابة كله ترقص شجرة الجوافة، آدم يتابعها وكلما سقطت منها ثمرة يلتهمها.)

الجميزة: شبعت؟

آدم: عايز اشرب.

النخلة: الميه حضرت، بس لازم عشان تشرب تاخذها من بقي.

آدم: بفاك؟ هو فين بفاك ده؟ أبوسك يعني؟

الجميزة: لازم تمص المية من قلب «جمارها».

(يتردد آدم ولكنه ينطلق ناحيتها كما لو كان يتسلّقها، ثم يُزِيح «الجريد» ويُطبق بفيه على قلب «الجمار» الذي يُشبه الفم.)

الجميزة: ميعاد النوم جه.

(آدم يتمدّد متعباً وينام في الحال، الأشجار تقصر جذوعها وتتكوم في ناحية أخرى، السنطة وحدها واقفة بجواره.)

الموزة: أنا عارفة فيه إيه يستاهل إنها تعمل كل ده عشانه؟

النخلة: باين فيه سر خفي ما نعرفوش.

الجوافة: ولا باين فيه سر ولا حاجة، دي ما اتخلقش البني آدم اللي يستاهلها، دا أنا مرة شفتها في الحلم قمت من النوم ح اتهبل عليها.

السنطة (تقترب منهن وكأنها تُشارك في الحديث): دا من الكلام اللي بيحكوه عنها
الواحدة بتجس إنها جنبها لازم تبقى راجل.

التوتة: دا بيقولوا إنها مرة استحمت في بحيرة فما استحملتش وراحت مقلوبة
بحر.

الجوافة: أنا سمعت إنها تقدر تحب كل ليلة ألف راجل وتخلي كل راجل فيهم
يחס إنه اتمتع لوحده بألف ست.

الموزة: وكل ده يبقى علشانه لوحده؟

التمر حنة: مش خسارة فيه، هو راخر باين عليه إنه يقدر يسعد كل ليلة ألف ست.

الموزة: بتقولي إيه يا عبيطة انتي؟

التمر حنة: هي إيه غير شوية كلام عمالين تقولوه عليها، كلام في كلام، لا حد
شافها ولا حد يعرفها، إنما على الأقل ده حقيقي قدامنا أهه.

الجميزة: تمر حنة ... الزمي حدك، لاحظي إنها «هي» وكفاية إنها «هي»،
«هي» أجمل وأحلى وأعظم وأرق وأمتع وأروع ما في الكون كله، ده إيه جنبها غير
حتة جلف؟

التمر حنة: أهى المصاييب ما بتجيش ...

الجميزة (مقاطعة): خلاص ... انتهينا ... مين اللي حياخد نبطشية الحراسة
الأولانية؟ خديها انتي يا سنطة.

التمر حنة (هامسة لسنطة وغامزة إياها): سيبهالي وحياتك، أنا في عرضك.

السنطة (بتملل): بس أنا تعبانة يا ريسة، ممكن تمر حنة تاخد الأولانية، وأنا اللي
بعديها على طول.

الجميزة: إذا كانت توافق. توافقي يا تمر حنة؟

التمر حنة: أمري لله ولو إني تعبانة قوي، إنما عشان خاطر خالتي سنطة.

الجميزة: بس خدي بالك يا تمر حنة، أنا شايفاكى ميالة له شوية، وانتى عارفة ... ده «هي» عايزاه، وما دام «هي» عايزاه ... إوعي حتى تتمنيه ولو بينك وبين نفسك، مفهوم؟

التمر حنة: حاضر يا ريسة، حاضر.

(تقوم التمر حنة أخذة مكان الديدبان وتأوي السنطة إلى النوم مع بقية زميلاتها ثم يحلُّ الصمت، وكأن الجميزة هي المايسترو، تبدأ الشجرات خلفها يُصدرن صوت تنفُّس، غير بشري، عميق، علامة النوم، التمر حنة، ببطء، تقترب شيئاً فشيئاً، من آدم الرائد يشخر، وحين تُجاوره تبدأ تسقط عليه زهورها، يتململ، ويعود للنوم، ثم يتململ، يُغمغم.)

آدم: الله! ... ريحة حلوة ... دي باين روح التمر حنة.

التمر حنة: يعني عاجباك؟

آدم: دا لو ميّت شمها تصحيه. (يلف يده حول جذعها) إنتي تردي الروح، أشكرك ازاي؟

التمر حنة: بلاش تلمسني أرجوك.

آدم: كتير عليّ إني ألمسك؟

التمر حنة: كتير عليّ أنا، مش ح اقدر أستحمل.

آدم: الله، إنتي بتتكلمي كدة كأنك ... كأنك ست.

التمر حنة: أنا حاسة بك أكثر من ست، شاعرة برجولتك أكثر من أي بنت بنوت.

آدم: دي آخر حاجة أتصورها.

التمر حنة: ليه؟ ... هل الأنوثة اسم ولّا إحساس؟!

آدم: بس انتي شجرة وأنا راجل، إنتي نوع وأنا نوع.

التمر حنة: وهو يحس النوع إلا نوع ثاني، ولا يقدرّ الجمال إلا جمال ثاني؟

آدم: يعني انتي حاسة بيّه؟

التمر حنة: أنا كل ورقة فيّ قشعرت لما لمست جذعي، جدوري نفسها سابت

مني، أنا متأكدة إنك لو حضنتني شوية كل النبات اللي فيّ ح ينقلب دم ولحم.

آدم: يا ريت، يا ريتك تتقليبي كلك دم ولحم (يحتضنها).

التمر حنة: لا لا لا لا، أرجوك، أنا عايزاك قوي، أنا عايزاك بطريقة عمر ما

أنثى عازت بيها ذكر، بس ابعد عني أرجوك.

آدم: وأبعد ليه ما دام عايزاني؟

التمر حنة: لأن مش ضامنة نفسي، ولو سبتها ح اضيع، ح انتهي.

آدم: ياه، دا انتي جدعك سخن خالص، نار، دا انتي بين ايدي كأنك بنت سبعتاشر.

(يختل توازن شجرة التمر حنة وتبدأ تميل.)

التمر حنة: أنا خلاص ... ضعت ... ما فيش فائدة ... احضني بالقوي بقي، بكل

رجولتك وقوتك احضني.

(يحضنها وتميل ويميل معها حتى يصلا إلى الأرض.)

التمر حنة: تعرف تبوسني؟

آدم: فين؟

التمر حنة: هنا، في الحطة اللي جذعي فيها بيتفرع فرعين.

(آدم يقبلها)

التمر حنة: مش كدة، تعالى انت اما أبوسك أنا.

(يغيب رأسه بين أفرعها وأوراقها.)

تعالى خليني ادوّك أنوثة عمرك ما دقتها ولا داقها بشر، الأنوثة البكر، الأنوثة أول ما بدأت الأنوثة، تعالى أعيشك في الزمن النادر اللي فكرت فيه الطبيعة لأول مرة إنها لازم تبتي تقسمنا لجنسين. (تبدأ تلهث ويلهث هو الآخر) تعالى نوصل للحظة الفاصلة اللي خلقتك جنس وخلقتني جنس، اللحظة اللي من روعتها انقسمنا اتنين، تعالى نرجع واحد، تعالى نعيش لحظة الوحدة العظمى، وحدة الإنسان والنبات والحيوان والشعور واللاشعور والجماد والزمان والمكان، لحظة بداية كل شيء، نهاية كل شيء، الوجود الواحد.

(يزداد لهاثها ولهاثه وتتكسر أغصانها وتحدث ضجة تتصاعد حتى تستيقظ الجميزة وبعض الشجرات فجأة.)

الجميزة: كدة يا تمر حنة، بقى عشان واحد زي ده ترتكبي الخطيئة الأولى في عالمنّا، تبقي أول خارجة على نظامنا اللي عمر ما إنس ولا جن ولا جماد خرج عليه؟
آدم: هي مش مسئولة، أنا المسئول.

الجميزة: هي اللي مسئولة لأن هي اللي عارفة، وعملت اللي عملته وهي عارفة العقاب إيه.

التمر حنة: أنا لسة ما عملتش حاجة، أنا مش حا اسيبه واعملوا اللي تعملوه.

الجميزة: مش كفاية إنك تكوني أول خاطئة عايزة تبقي أول متمرّدة كمان؟

التمر حنة: خاطئة ومتمرّدة ومجرّمة، إعملوا اللي تعملوه، إنما أنا لأول مرة في عمري حاسة إني باحب، أنوثتي خلاص لقيت ذكورتها ... عمري كله هو اللحظة دي.

الجميزة: واللحظة دي فعلاً بعمرّك كله، إنتي أول من طمع على شيء مش له ... الأنانية هي أكبر جريمة عندنا، وعقابها أقسى عقاب، إمسكوها (تلتف حولها بقية الشجرات ويجعلنها تعتدل، بينما آدم يقف كالمذهول).

التمر حنة: أنا مستعدة لأي عقاب، ما دام مش ح احس به هو، ومش ح اكلمه هو، ومش هو اللي ح يشم ريحتي، اعملوا اللي تعملوه.

الجميزة: الفجر قرب واحنا ح نكمل رحلتنا، المدينة بانّت.

(تلتفت إلى ناحية الشرق حيث بدأت أنوار المدينة تبدو ككرنفال من الأضواء وسط الظلام، أنوار كأنها لوحة رسام استعمل الأضواء في رسمها.)

ياللا بينا.

(الشجرات تحيط بآدم ويتركّن تمر حنة واقفة في مكانها وحيدة.)

التمر حنة: مش بإيدي، دا حب يا جميزة ياللي عمرك ما دقتي الحب، وعشان كدة فضلتني جميزة.

الجميزة: احنا ع الصبح ح نوصل. (ثم ملتفتة لتمر حنة) أما انتي ف ح تفضلي هنا في مكانك وح تفقدي القدرة على الحركة والكلام والشعور والنوع وتبقي بلا جنس، لغاية ما ينظر في أمرك وتعاقبي العقاب النهائي.

(آدم فجأة يترك حارساته ويذهب إلى التمر حنة ويُطَبِّب عليها.)

التمر حنة: ولا يهمك، اللحظة معاك بعمر، بس كل ما تشم ريحة تمر حنة افكرني، حتى لو ...

(تتوقف عن الكلام وقد فقدت القدرة وتتهدّل أغصانها فوق جذعها.)

الجميزة: انتهت المهزلة، ياللا بينا.

(الستار)

الفصل الثاني

المنظر الأول

(مع بدء الإضاءة التدريجية، يدخل الموكب (آدم والشجر) من يسار المسرح وكأنما من باب رمزي للمدينة الغربية؛ حيث البيوت والمباني تتراعى وقد بُنيت بأشكال مقتبسة من أشكال النباتات والزهور وأصناف الحيوانات الجميلة، كذلك كل متعلقات المدينة من فوانيس إضاءة تنتهي بدل المصابيح بأزهار مختلفة الأشكال تمتص أشعة الشمس بالنهار وتُضيء بالليل، وسائل المواصلات تقوم بها مركبات على هيئة طيور.)

الجميزة (صوتها قد تغير وإن لم يتغير شكلها وأصبح صوت رجل، ونفس الشيء حدث للأشجار الأخرى): مهمتنا هنا انتهت.

آدم: وأنا أعمل إيه؟

التوتة: دي مسائل ما نعرفهاش.

آدم: أمال الأوامر اللي عندكم إيه؟

النخلة (بصوت صبي مراهق): لغاية هنا نسيبك.

آدم: تسيبوني ازاي؟

الجميزة: انتظر الأوامر.

آدم: أوامر إيه؟ مش كفاية انتظار؟

الجميزة: الوداع.

آدم: أرجوكم.

الجميع: الوداع.

(ويتركونه واقفاً ويستديرون خارجين.)

آدم (يرمقهم ويقول بسخرية): الوداع.

(تبدأ موسيقى على هيئة صوصوة عصافير وما إن يبدأ آدم ينصت إليها ويستغرقه الإنصات حتى يُقبل كلب ضخم له رأس كلب وذيل خروف من خلف آدم، يمشي بضع خطوات ثم فجأة يُطلق هبة عالية يقفز لها آدم رعباً ويلتفت إلى مصدر الصوت ويبدأ يتراجع بظهره والكلب يتقدم وهو لا يزال يُههب هبة عالية مرعبة، ويستمر آدم في تراجعهم ولكن الكلب يتوقف فجأة، ويكف عن النباح ويُحدق في آدم، آدم يتوقف هو الآخر حائراً ماذا يفعل وما هي الخطوة القادمة، فجأة يقف الكلب على ساقيه الخلفيتين ويعتدل تماماً كأنه إنسان وهو يُقهقه قهقهة عالية.)

الكلب الخروف: إنت خُفت؟

(آدم يهز رأسه بشدة غير مصدق ويستعد للنطق، يفتح فمه فعلاً لكن لا يخرج عنه صوت.)

الكلب الخروف: دا انت لسة خايف، ما تخافش (يتقدم ناحيته فيبدأ آدم يتراجع فوراً).

ما تخافش باقولك، الله، ح تقف ولّا أههب لك تاني وأمشي لك على أربع (يقف آدم ويقترب الكلب وينكمش على نفسه، فيمدُّ الكلب يده ويخبطه على كتفه خبطة قوية).
بطل خوف ما تخلنیش أحس بتأنيب ضمير، أنا قلت أهزر معاك تقوم تقلبها جد، وريني نبضك (يتحسس نبضه) لا حول الله، مية وستين في الدقيقة، أنا آسف، آسف جداً، أرجوك سامحني لاحسن أعاقب نفسي بشدة وارجع كلب.

آدم (مقاطعاً): لا لا لا، أرجوك، إوعى تعملها.

الكلب: الحمد لله، آدي انت نطقت.

آدم: طب روح بقى الله يسامحك.

الكلب: أروح فين إن شاء الله، هو أنا واقف ألعب؟ أنا واقف معاك أشتغل.

آدم: تشتغل إيه؟

الكلب: مرافق لغاية ما بسلامته يجي.

آدم: بسلامته مين؟

الكلب: هو مفروض صحيح إني ما أقولكشي، إنما ما دام خضيتك ح ابقى طيب زي المرحوم أبويا الخروف وأقول لك، هما ها يخدوك قصر السندسي.

آدم: لازم دا القصر بتاع هي؟

الكلب: لا وانت الصادق، دا بتاع العالم.

آدم: العالم؟ يبقى مين ده؟

الكلب: أهو انت ح تضحكني أهو، الأستاذ العالم، حد ما يعرفوش؟

آدم: وياخدوني عنده ليه الأستاذ العالم ده؟

الكلب: أهى دي لا يمكن أقولها.

آدم: ح تقولها ولا أخلي ضميرك يأنبك تاني وأخاف؟

الكلب: وهي سر يعني؟ أقولها وأمري إلى الله، أصل العالم ده ما بيعوزشي حد لله في الله، دا عمر ما حد دخل له شيء وطلع نفس الشيء، الفرخة تطلع متجوزة فار، التعلب يطلع من عنده طيب زي الحمار، أمي الكلبة الـ وولف دخلت عنده طلعت حامل من أبويا الخروف في.

آدم: بقي عشان كدة عايزني؟ بقي جاييني من آخر الدنيا عشان يعملوا علي تجربة، أنا العالم اللي باعمل تجارب ع الفيران، أبقي بجلالة قدري فار تجارب؟ دا

مستحيل، أنا راجع.

(يندفع آدم من حيث دخل المسرح.)

الكلب: إنت حاتقف مطرحك ولا أندهلك أُمي؟ اعمل حسابك، هي لسه كلبة وولف زي ما هي وعندها صحة تفرقش الزلط.

آدم: أنا راجع.

الكلب: يا أمّه (ثم يههب، تجيب على هبهته هبة خشنة مروعة من الخارج) سمعت؟

آدم: اعمل معروف أنا عندي عقدة من الكلاب، ترضى إن واحد زي يبقى فار تجارب؟

الكلب: ومين قال إنك ح تبقى فار؟ ما يمكن تبقى قط ولّا نسناس أدّي انت فيك شبه منه، وبينني وبينك كله محصل بعضه، إنما تأكد إنك مش ممكن ح تخرج من عنده زي ما دخلت، تعالى مكانك (يجذبه فيقاوم آدم) يا امه (يههب فتُجيبه الهبة السابقة).

آدم: يا سيدنا بقولك لك بخاف م الكلاب.

الكلب: يبقى ما تتحرّكش من مطرحك.

(يُثبتان في مكانهما بينما تعود موسيقى العصفير تعزف حتى يظلم المشهد علامة مجيء الليل ولا يبقى مضيئاً إلا أضواء المدينة المبعثرة.)

(من زاوية المسرح الداخلية اليمنى يظهر كائن سيربالي يعبق برائحة الفل وينتقل في خطو راقص بينما يشع بضوء داخلي متغير متعاقب له نفس وقع الخطو، يتجه إلى حيث آدم واقف، آدم يتراجع مأخوذاً.)

الكائن: من فضلك ما تخافش ... تسمَح ما تخافش.

آدم: أنا مش خايف.

الكائن: ما هو لو خفت مني حا اخاف منك ... أقف وبطل خوف أرجوك.
آدم: أديني وقفت.

الكائن: أيوة كدة ... أنا دلوقتي ابتديت أنا راخر اطمئن.

آدم: إنت مرّة ست ومرّة راجل صوته رفيع، ومرّة تخين.

الكائن (بصوت طفل): أبيه ... بجد ... أنا صوتي كدة.

آدم: الله، ومرّة طفل ... إنت ... قصدي انتي ... يوه، إنتو حكايتكو إيه بالظبط؟

(يسمع صوت مأمأة خروف.)

آدم (للكائن): وبتمأما كمان؟

الكائن: لأ، مش أنا ده.

(تأتي مأمأة أخرى يكتشف الاثنان أن مصدرها هو الكلب الخروف الذي كان قد استسلم للنوم منذ أمد بعيد، والذي يصحو فجأة كالمستيقظ من كابوس.)

الكلب: لازم هرب، رحت في داهيه يا خروف الكلب، كدة يابا تعملها فيّ وتجيني في الحلم جعان وعائز برسيم وأقعد أدور لك عليه لغاية ما أول عمل محترم أعمله في حياتي يضيع.

آدم: أنا ما هربتش أنا أهه.

الكائن (بمجموعة أصوات): وأنا أهه جيت أخده.

الكلب: يبقى المهمة انتهت وسيبوني بقى أرجع أدور للمرحوم أبويا الخروف على برسيم (يعود للنوم وهو يُمأمي بخفوت).

آدم: لهو انت اللي جاي تاخدني قصر السندس للعالم؟

الكائن: وعرفت منين دا كله، دا أنا نفسي ما اعرفشي إلا أننا رايعين القصر بس، عرفت منين؟

آدم: عرفت وخلص.

الكائن: خلاص ازاي؟ دي لازم حيتعملها تحقيق.

آدم: خرينا فيك انت، إنت كام واحد في بعض؟ وشكلك ما له كدة؟ إيه النور ده وريحة الفل اللي عبت الدنيا من ساعة ما دخلت، إنت إيه؟ نبات ولّا حيوان ولّا من ده على ده؟

الكائن: أنا الكائن الجديد، أنا أحدث كائن اتخلق هنا، أنا اتخلقت علشان آجي آخذك.

آدم: اتخلقت ولّا اتولدت؟

الكائن: اتخلقت.

آدم: اتخلقت يعني من ما فيش؟

الكائن: وهو فيه حاجة بتتخلق يا دكتور آدم من ما فيش؟

آدم: وحكيم كمان؟ وعارف أنا مين؟ اتخلقت ازاي بقى؟

الكائن: سقط شعاع من نور نجمة الفجر على زهرة فلّ في لحظة كان بيغني فيها كروان، حصل بين التلاتة استلطاف وتواؤم وراحوا متجانسين على طول فاتخلقت أنا.

آدم: وحتى التزاوج هنا ممكن يحصل بين ٣ والدين؟

الكائن: احتمالات التواؤم والتجانس مالهاش حدود، دا أنا سايب أخويا اللي جه بعدي، حالة تواؤم مع كائنة، حنة دين كائنة اتخلقت من لحظة شوق تواءمت مع قطرة ندا وشقاوة طفل وصدر حنون، تصور بقى لما أخويا يخلّف منها ح يجيب إيه؟ كائنات زمانية مكانية جمادية حيوانية مستقبلية ماضية ضوئية موسيقية ليها برضه ريحة الفل.

آدم: أنا قطعاً لازم باحلم.

الكائن: ما افكرش، أحلامك نفسها مش ممكن توصل للمدى ده.

آدم: ويا ترى حكمتك دي جبتها منين؟ من التلات والدين برضه؟

الكائن: لأ دي من جهدي أنا، قبل ما أجيلك فت على مدرسة الحضارة.

آدم: الحضارة؟

الكائن: الحضارة بقول لك، وهناك سمعت التلات سيمفونيات اللي وصلوني للمرحلة الثالثة من المعرفة.

آدم: بتقول إيه؟

الكائن (مواصلًا كلامه): السيمفونية الأولى معزوف بيها تاريخنا، والثانية تسمعها تكسب كل معارفنا، والثالثة بتحوي كل شيء عنكم.

آدم: عننا ... قصدك مين؟

الكائن: عن جنسكم.

آدم: البني آدمين يعني سكان الأرض؟

الكائن: أيوة أو بالأصح إللي بيسموا أنفسهم بني آدمين.

آدم: يعني انت دلوقتي عارف انتو مين، وجيتوا منين، من أنهي كوكب بقى جيتو؟ لازم من مجموعة شمسية تانية.

الكائن: احنا جايين من الكوكب ده، من الأرض.

آدم: يعني المدينة دي بناسها وكائناتها ومخلوقاتها وكل الغرائب إللي فيها من الأرض؟ إنت عايز تضحك على مين فينا؟

الكائن: أنا مش جاي أضحك، احنا ورانا مهمة والوقت أزف والمسافة بعيدة.

آدم: وراك أنت، أنا مش جاي، دوروا لكم على حيوان تجارب غيري.

الكائن: إنت قطعاً ضحية معلومات غلط، جبتها منين؟ أكّد لك أن حد حب يهزّر معاك وحت في دماغك كل الكلام ده، إنت جاي هنا عشان أعظم مهمة عُهد بها لبشر ومتصور إنك جاي حيوان تجارب.

آدم: أَمال جاييني ليه؟ لازم أعرف دلوقتي حالاً إيه المهمة اللي عمر ما عُهد بيها لبشر دي قبل ما انتقل من مكاني.

الكائن: وإذا كان عشان تعرفها لازم تيجي معايا، تيجي ولا ما تجيش؟

آدم: ذنبي على جنبي أنا حا افضل ورا المجهول لما يجيب داغي، هي المسافة بعيدة؟

الكائن: احنا حانخرق المدينة.

آدم: والمدينة كبيرة؟

الكائن: بالمشي تخترقها في أسبوع.

آدم: حا امشي تاني؟ دا لا يمكن، أنا الجزمة دابت من المشي، خلاص ما اقدر شي أتحرك خطوة.

الكائن: ومين قال إننا حانمشي؟

آدم: أَمال حانوصل ازاي؟ حانطير؟

الكائن: أيوة حانطير.

آدم: هو فيه طيارات؟

الكائن: ولزومها إيه؟

آدم: أَمال حانطير ازاي؟

الكائن: إحنا حانطير.

آدم: إنت تطير معلش، إنما أنا أطير ازاي؟

الكائن: زيك زي أي حاجة بتطير، تطير زي الفراشة ما بتطير زي العصفورة ما بتطير، زي السحاب.

آدم: بس أنا بني آدم ثقيل جسمه اتخلق للمشي، ما اعرفشي أطير.

الكائن: بسيطة، ما تعرفشي اعرف، طير.

آدم: يا ريت.

الكائن: لو عزت حانطير.

آدم: كدة؟ أقول عايز أطير ... أطير؟

الكائن: بالضبط كدة.

آدم: طب هه، أنا عايز أطير، نفسي موت أطير، شفت بقى ... ولا حاجة حصلت.

(يكون قد ارتفع فعلاً عن الأرض.)

الله، دا إيه ده، دا أنا باطير فعلاً، أنا طرت، دا معقول ده؟ أنا باطير.

(يكون قد بدا كما لو كان يرتفع في الهواء بتأثير الإضاءة البنفسجية والكائن بجواره وبعد وصولهما إلى علو مناسب بيدآن يتجهان ناحية الزاوية اليمنى الداخلية للمسرح كما لو كانا يقطعان سماء المدينة التي تبدو أضواؤها أسفلهم في خلفية المسرح التي تتحرك في الاتجاه المضاد.)

الكائن: شفت بقى المسألة سهلة ازاي.

آدم: سهلة إيه؟ ضروري عناصر من عندكم تدخلت، هو معقول أنا لوحدي أطير؟

الكائن: إوعى تأمن بكلامك ده لحسن تبص تلاقيك واقع مقطومة رقبتك، اللي انت مش قادر تتصوره هو بجد الحقيقة، إنت بإرادتك بس طائر، ولو بطلت أو شكّيت في إرادتك حا تقع.

آدم: طب نغيّر بقى الموضوع.

الكائن: بص اتفرج ع المدينة، احنا دلوقتي بالظبط فوق حي الطفولة، طفولة كل شيء.

آدم: ألا بالمناسبة أنا من ساعة ما جيت هنا ما شفتش فيكو بني آدمين خالص، إنتو ما عندكوش بني آدمين؟

الكائن: إزاي ما عندناش، أمال اللي عمل دا كله مين؟

آدم: طب هما فين أمال؟

الكائن: قلت لك أنا لسة جديد، أعرف للمرحلة الثالثة بس.

آدم: بني آدمين م الأرض برضه، زينا زيهم؟

الكائن: هما بني آدمين، بس مش زيكم.

آدم: مش زينا إزاي، هو فيه بني آدمين تانيين؟

الكائن: طبعًا فيه ... دول الجنس الإنساني الأرقى.

آدم: أمال احنا إيه؟

الكائن: إنتو الجنس الأقل رقيًا.

آدم: احنا؟ الـ ٣٥٠٠ مليون بني آدم اللي ماليين الأرض، دول الجنس الأقل رقيًا؟

فيه غيرهم كمان جنس أرقى ما نعرفشي عنه حاجة؟ أرقى في إيه بقى؟

الكائن: لأنهم الإنسان، الإنسان الحقيقي.

آدم: أَمال احنا إيه؟

الكائن: أنتم بشر صحيح، إنما دافعكم للحياة حيواني، البقاء عندكم للأقوى والأذكى والأكثر إجرامًا، هم البقاء عندهم للأكثر إنسانية.

آدم: كلام غريب قوي، قصدك إيه بالإنسانية؟

الكائن: القدرة على التوافق والتعاطف والتواؤم والحب، دول النوع الأرقى اللي تطور من الإنسان بتاعكم، زي الإنسان بتاعكم ما تطور من الحيوان.

آدم: مش قادر أصدقك قوي، التطور مستمر صحيح بس داخلنا إحنا، الإنسان الأرقى هو إحنا برضه.

الكائن: مش ممكن يكون التطور داخلكم وإلا كانت القروود بقت الإنسان، التطور معناه خلق نوع جديد خالص، وده اللي حصل فعلاً.

آدم: طب ما يبقى اتخلق فينا برضه؛ لأن احنا قادرين برضه على التواؤم والحب.

الكائن: مش صحيح، دا جنسكم مش قادر على حب نفسه حتى، ده هو الجنس الوحيد اللي تقريبًا تلت أفراده بيقتلهم التلت الثاني بينما التلت التالت قاعد يتفرج ومش مستتكر، يعني في كدة أقل حتى من الحيوان، عمرك سمعت عن حمار قتل حمار ولّا ديب تربص لديم وقنّله مع سبق الترسّد والإصرار؟

آدم: بس مع كدة هو الجنس اللي عمّر الأرض واكتشف قوانينها وسيطر على كل شيء فيها.

الكائن: بس برضه للأسف هو اللي عمل كدة عشان بيتكر وسائل أذكى يحارب بيها بعضه، شايف، آدي احنا بالضبط فوق المعبد.

آدم: المعبد؟ إنتو بتعبدوا إيه؟

الكائن: بنعبد بعض، كل شيء أو كائن فينا بيعبد الآخرين، سامع، دا أنا سامعهم
بيغنوا، دي باين الأغنية عليك، اسمع.

(تتناهى أصوات بعيدة تقترب، ترقص وتمرح وتردد الأغنية التالية):

بالرقصة

بالضحكة

باللهفة

حيوا آدمنا،

حيوا الفارس.

* * *

اليوم تجسد،

اللحظة جاء،

بالأمل الواسع جاء،

بالحب الدائم جاء،

بالعالم رحبًا جاء.

* * *

في علاها تسعد هي،

في سماها تتقبل

من كل قلب نغمة،

من كل موجود إيمان.

* * *

هي التي كانت،

هي من تدوم.

* * *

بالرقصة

بالضحكة

باللهفة

حيوا آدمنا،

حيوا الفارس.

آدم: أنا الفارس والمُنقِذ؟ إيه الكلام ده؟ بيغنوا لي إيه؟

الكائن: وحياء «هي» ما أعرف.

آدم: أمال مين اللي يعرف؟

الكائن: مين عارف؟

آدم: هي «هي» الآلهة بتاعتكم؟

الكائن: إحنا ما عندناش آلهة.

آدم: أمال هي إيه؟

الكائن: الله أعلم.

آدم: ده مش معقول ده، أنا عايز حد أسأله ويُجاوبني، أنا قربت أتجنن.

الكائن: على العموم احنا قربنا نوصل، شايف النور اللي هناك ده؟ أهو ده قصر

السندس، نهاية رحلتنا، دلوقتي قلل الرغبة في الطيران، قللها بس، مجرد قللها،
واتبعني، احنا في طريقنا للهبوط.

(ستار)

المنظر الثاني

(صالة واسعة جدًا، بكل سعة المسرح، مربعة أو دائرية تمامًا، عالية الجدران،

مفروشة بسجاد سميك أخضر كالسندس، فارغة تمامًا لا شيء فيها، مضاءة بضوء

مربع ملون.)

(حين ترفع الستار نجد آدم واقفاً في منتصف الصالة تقريباً في حالة ذهول يستمع إلى نهاية لحن سيمفوني يبدو وكأنه يعزف من فرقة موسيقية غير مرئية تحتل الصالة.)

(يدخل العالم نموذج لجمال سن الخمسين، مستقيم، جسده كالسيف، شعره مففل بالبياض وكذلك ذقنه الكاملة الجميلة، يرتدي حُلَّة بيضاء ناصعة مقفولة عند الرقبة (كحُلَّة الصينيين) ويصفر بفمه نفس اللحن المعزوف حتى يَنْتهي.)

العالم: عجبناك الموسيقى؟

آدم: أنا عمري ما سمعت حاجة بالشكل ده.

العالم: أصل مشترك في عزفها كل كائن حي أو غير حي موجود هنا، كل شيء كان في حالة موسيقية عظمية ترحيباً بك.

آدم: بي أنا؟ دا أنا عمري ما حد صفر لي حتى، إيه الحكاية؟ إيه الأهمية اللي طلعتلي فجأة دي؟

العالم: دا أهمية كبيرة قوي، أعظم أهمية، أهمية عمر ما بشر حصلها.

آدم: كفاية بقى أرجوك، أنا مخي على وشك الانفجار، ده كتير قوي ده، أرجوك، إنت أول بني آدم أقابله هنا، فأنت أولاً بني آدم صحيح؟ ولا حاجة تانية؟

العالم: مش باين عليّ إني بني آدم؟

آدم: أنا عايز أتأكد، وكم ان سؤال لو سمحت؟ إنت شبهنا خالص، فيا ترى أنت مننا بقى ولا من الجنس الأرقى اللي بيقولوا عليه؟

العالم: يُدهشك إني أقول لك إني منكم.

آدم: يعني زيك زيي؟

العالم: زي زيڪ.

آدم: وهنا من زمان؟

العالم: من زمان قوي.

آدم: يعني أقدر أقول إني وصلت لشخصية ممكن أسألها وتجاوبني مش بتتفد أوامر وبس؟

العالم: من غير ما أبالغ في قيمتي الشخصية تقدر تعتبرني كدة.

آدم: طيب أقدر أسألك سؤال بايخ؟

العالم: اتفضل.

آدم: أنا صاحي وواعي ولا نايم وبحلم؟

العالم: أنت عندك شك إنك صاحي وواعي؟

آدم: ما هو اللي حيجنني إني ابتديت أشك في حواسي، أنا ما عنديش مانع أشوف الهوايل إنما أبقى متأكد إني شايفها.

العالم: أؤكد لك إنك صاحي وواعي وفي كامل قواك العقلية.

آدم: مع احترامي لتأكيدك فأنا عايز دليل لا يقبل الشك. (يعبث في جيبه ويستخرج سلسلة مفاتيح بها مطواة) الحمد لله المطواة أهه.

(يغرس طرف المطواة في ظهر ساعده الأيسر ويرفع وجهه إلى أعلى ثم يسحبها بقوة فينبثق الدم ويصرخ): آه.

العالم: ليه تعمل في نفسك كدة؟ (يسرع إليه وبمנדِيل من جيبه يُضمّد الجرح ويربطه) يعني لازم تتألم عشان تتأكد؟

آدم: لازم، الشك أفضح من الألم، أنا دلوقتي بس اتأكدت. (ينظر حوله) هو انتو في العالم الراقي ده لغيتوا الكراسي ولّا إيه؟

العالم: لغينا وجودها المستمر بس، إنما بإشارة يتوجد لك الكرسي اللي تحب تقعد عليه، إيه الكرسي اللي بتفضّل تقعد عليه؟

آدم: البانيو ... أنا في حاجة ماسّة لقعدة البانيو.

(العالم يبتسم ويشير للحائط فينزلق منه بانيو.)

(يندفع آدم إلى البانيو ويتمدّد فيه، وبعد أن يريح جسده يقول):

وحضرتك مش ناوي تستريح؟ اتفضّل اختار القعدة اللي تريحك.

العالم: أنا أفضل المرجيحة (يشير فتهبط مرجيحة من السقف، ثم وهو يجلس عليها) أنا تحت أمرك، عندك أسئلة تانية.

آدم: إنتم عايزين مني إيه؟ وجايبيني هنا بالطريقة الغريبة دي ليه؟

العالم: إحنا جنبناك؟

آدم: أمال أنا جيت لوحدي؟

العالم: طبعًا، مش انت اللي اخترت تيجي؟

آدم: فليكن أنا اللي جاي.

العالم: يبقى السؤال بقى احنا مش جنبناك ليه، إنما حضرتك جاي ليه؟

آدم: والله عال، بقى بعد ده كله، بعد هوووه وعندك ميعاد العتبة وهي عايزاك، يطلع الآخر أنا اللي لازم أعرف جاي ليه، أرجوك أنا مخي ما عدشي يستحمل، أنا في عرضك، أنا حاسس إن النور بيصفر، أنا فيه حاجة في دماغي بتصفر.

العالم: دي أعراض الجوع الشديد.

آدم: أنت ابن حلال فكرتتي، دا أنا من الجوع نسيت إني جعان، أنا فعلاً حاسس بأعراض الموت جوعًا.

العالم: يبقى أولًا تاكل، تحب تاكل إيه؟

آدم: أولًا أشوف أودة سفرة بعنيه، نروح السفرة الأول.

العالم: ونروح ليه، السفرة هي اللي تيجي.

(يشير لجزء من الحائط فيتحرك خارجًا على هيئة سفرة عليها اثنان سرفيس كاملان، ينتفض آدم من مكانه ويقف عند طرف السفرة القريب منه، وحائرًا يتلفت ثم يندفع إلى جزء من الحائط يقبض عليه فيخرج على هيئة كرسي، يجلس وبسرعة يُحيط رقبتة بالفوطة.)

العالم: تحب تاكل إيه؟

آدم: يا سلام على ديك رومي بالخلطة مع النبيذ الفرنسي.

العالم: بس كدة؟

آدم: دي البداية بس.

العالم: أنا بقى ح آخذ شوربة خضار.

(آدم يتلفت حوله منتظرًا قدوم الشراب والطعام، خجلًا أن يسأل أو يستعجل، العالم قد تركه لحيرته وانهمك في شرب حساء وهمي من طبقه بالملعقة، أخيرًا يتحنح آدم فوق ظهر يده.)

العالم: آه ... نسيت أقول لك ... الأكل هنا زيه زي أي حاجة تانية خاضع لمجرد رغبة الإنسان، الذرات اللي بتكون طعم الأكل بإرادتك تستدعيها.

آدم: يعني بعد الجوع ده كله آكل هوا؟

العالم: إن ما كنتش مصدق جرب، نفسك في إيه حالًا دلوقتي؟

آدم: قبل أي حاجة نفسي في كباية مية ساقعة جدًا قزازها مضرب من كتر السقوعية، الله الله، الله، دا بجد (يتكلم وكأنه يبلع الماء ويستطعمه خلال كلامه) دا فيه

بماء زهر زي ما بحبها بالضبط، دي ساقعة بشكل، الله، دي سيلت على رقبتى، دخلت في عبي (يتململ ويكاد يقفز من لسع الماء) كفاية فيه بقى، لايمنى على صدر الديك، يا سلام، أما ديك، دلوقتي بس عرفت إنا كنا بناكل قبل كدة ديوك أبو قردان، دا كأي عمري ما أكلت، عمري ما حسيت إن الأكل لذة بالشكل ده.

(يتركه العالم حتى يطفئ نوبة جوعه الأول، وحين يبدو أنه فعل.)

العالم: لسة حاسس إن النور بيصفر والصوت بيزن في ودانك؟

آدم: دي كانت تخاريف الجوع.

العالم: أمال أنا بيتهيألي إن النور فعلاً بدأ يصفر وسامع صوت غريب بيزن على طول.

آدم: تبقى لسة جعان، يا راجل كل، شوربة خضار إيه؟ خذلك كيلو كباب.

العالم (مبتسمًا ومتأملًا جو الحجرة): أنا أرجو أنه يكون من الجوع؛ لأنه لو ما كنش من الجوع يبقى معناه خطير جدًا.

آدم: أوكدلك أنه من الجوع، بلاش المعاني الخطيرة دي وحياتك، أنا يدوبك رُوحى ردت، أنا ما عادشي حتى يهمني انتو عايزينى ليه، إلا صحيح انتو عايزينى قوي كدة ليه، أنا حموت من حب الاستطلاع.

العالم: بس قبل ما اقولك، لازم تكون اقتنعت معايا بشوية حاجات، إنت اقتنعت بالكلام اللي قالهولك الكائن الجديد عن الجنس الأرقى؟

آدم: الحقيقة خدته على أد عقله، اللي أعرفه إن جنسنا هو أرقى الكائنات كلها وعمرنا ما سمعنا إن البني آدميين نوعين، نوعنا، ونوع ثاني أرقى.

العالم: إزاي ما سمعنتش؟ إنتم مش عندكم قصة قابيل وهابيل؟ لما آدم خلف ولدين واحد غار من الثاني لأن ربنا قبل قربانه فقتله؟

آدم: ومن ما سمعشي عليها؟

العالم: كلنا سمعنا آه، بس حد فكر فيها، لو تأملتها شوية حتلاقي مين اللي قتل الثاني؟

آدم: قابيل قتل هابيل.

العالم: يعني اللي عاش هو القاتل، يعني الشرير وذريته هم اللي عاشوا بينما الطيب المحبوب هابيل هو اللي انتهى وقتل.

آدم: دا معناها كدة صحيح.

العالم: وأخطر من كدة، يبقى معناها إن البشرية كلها من ذرية قابيل، إيه رأيك بقى لو كان قابيل مش فرد إنما كان نوع وهابيل كان نوع، مش كان برضه يحصل اللي حصل والنوع الشرير يبيد النوع الطيب وينفرد هو وذريته بالأرض؟

آدم: حسب الأسطورة آه.

العالم: وحسب الواقع برضه، المؤسف إن ده حصل فعلاً، المؤسف إن الجنس البشري اتخلق له نوع أرقى فقام عليه نوعنا احنا وأفناه.

آدم: أمال ازاى بتقولوا إن المدينة دي عملها الجنس الأرقى؟

العالم: ده صحيح، المدينة دي عملتها قبيلة من الجنس الأرقى هربت من المذبحة من فجر التاريخ وجت هنا وعملت المجتمع الإنساني الحقيقي.

آدم: مجتمع تاني غير مجتمعنا؟

العالم: مجتمعنا مجتمع حيوانات أذكيا جدًّا، المجتمع اللي عملوه قائم على أساس تاني، الحيوان وعى بذاته بس فأحب ذاته، الإنسان وعى بكل شيء فكان لازم يحب كل شيء ابتداءً من نفسه، بالقدرة على استقبال الحب وإعطائه، مش بذكاؤه، قدر يعرف ويدرك أسرار الكون والطبيعة مباشرة مش عن طريق الذكاء إنما عن طريق الاندماج،

وقدر يوصل إنه يبقى مركز ومايسترو للحب في الكون زي الشمس ما هي مصدر النور.

آدم: لو بس الواحد يقدر يشوف حد منهم كان صدق، كل اللي باسمعه كلام في كلام، فين الكائنات دي؟

العالم: للأسف انقرضوا همّ رخرين.

آدم: إزاي بقى انقرضوا وهمّ بعيد عن أي عدو؟

العالم: لأن زي ما كان اتجاه وجودنا إحنا إننا نبقى أكثر وأكثر وكان اتجاه وجودهم إنهم يبقوا أندر وأندر، ومع كدة كانوا مستمرين في محاولة إصلاح جنسنا إحنا وتغيير طبيعته الحيوانية، جيل ورا جيل كانوا يبيعوا كثير منهم ليننا يتقمصوا شخصيات من جنسنا، كل الرسل والشعراء والمصلحين، كل الفن والموسيقى، كل الحاجات اللي لولاها كانت حياتنا بقت صحراء قاحلة من الحقد، كان مصدرها همّ، وكان أصحابها بينتهوا وبيلاقوا نفس مصير الخير في مجتمع لا بقاء فيه إلا للشرير الأقوى، انقرضوا أو كادوا.

آدم: كادوا إزاي؟

العالم: لأن اللي باقي من النوع الأرقى ده كائن واحد، آخر كائن، أو بالضبط «هي» اللي طال شوقك عشان تعرف هي مين!

آدم: طب وليه هي رفضت إنها تنقرض؟

العالم: أنا.

آدم: إزاي انت؟

العالم: لأنني على آخر لحظة قدرت اكتشف وجود النوع الأرقى ده وأنقذها من مصير جنسها التعس، الله، دا النور فعلاً بيصفر، مش شايف النور بيصفر؟

آدم: الحقيقة مش شايف.

العالم: طب اسمع كدة، مش سامع نشاز؟

آدم (مصغياً): أبداً.

العالم: دي أول مرة حاجة زي دي تحصل هنا، دي لو حصلت تبقى كارثة، دا معناها احتلال، معناها مصدر الحب بيقِل، أو على الأقل بيبتعد، بقى معقول «هي» تهجر المدينة وتسيبنا؟

آدم: وإذا هجرتها يعني يحصل إيه؟

العالم: دي يبقى ولا يوم القيامة، كل الظواهر والكائنات اللي انت شايفها تتجمّد وترتد ويرجع كل شيء كما كان، إنت أصغر مني بكثير وحواسك أحد، أنا مُعتمد على حواسك، إنت متأكد إن ما فيش تغيير.

آدم: أنا مسئول، خرينا في المهم، بقى انت اللي اكتشفت الجنس الأرقى ده؟ لازم حضرتك بقى عالم أنثروبولوجي؟

العالم: أبداً، أنا أصلاً مش عالم.

آدم: أمال انت أصلاً إيه؟

العالم: قاتل.

آدم: قاتل؟!

العالم: أنا قابيل الحقيقي اللي قتل أخوه.

آدم: أنا شبع ... سفرة دائمة (يخلع الفوطه ويغادر السفرة ويخبط عليها فتعود إلى مكانها، وكذلك يخبط على البانيو، ويجلس على طرف الكرسي المتبقي من السفرة جلسة تحفز).

يا شيخ خضيتني، أنا افكرتك قتلت أخوك بجد.

العالم: ما أنا قتلته بجد، كان أبويا وأمي يحبوه أكثر مني، وكلهم صدّقوا إنه غرق في البحر وما حدث أبداً شك إنني غرقته، ومن يومئذ من سن تسع سنين وأنا قاعد أسأل نفسي: إزاي قتلت أخويا وقتلته ليه، وعلشان أعرف الجواب درست واطلعت وفضلت لما بعد عشرين سنة اكتشفت إنني قتلته لأنني من جنس مش هو الإنسان، وإن لازم فيه جنس إنساني أرقى عايش وموجود بس المشكلة نتصل به إزاي، كونت جمعية اسمها جمعية تحضير الإنسان وبالتدريج والحماس وبكل ما نملك من قوة على الحب والتخلص من الحقد قدرنا نكون قطب حب جذب كائن من الجنس الآخر، طلع إنه «هي» وإنه آخر سلالة هذا الجنس.

آدم: أقول لك إيه؟ بين الحقيقة والخيال حاجز رقيق اسمه المعقول، وأنا بجد عايز أصدقك حتى لو شكيت في المعقول ده، أنا حاسس لأول مرة معاك إن فيه بين الحقيقة والخيال انسجام كامل، ولو ماكنشي الحقيقة كدة فالأحسن إنها تكون كدة، وبعدين؟

العالم: كان لا بد أ منع انقراض الجنس ده بأي وسيلة، وعشان كدة جيت هنا، وبعد طول تفكير ما بقاش فُدامنا إلا حل واحد: أن يتم تزواج بين هي وبين كائن من جنسنا احنا فيه كل الصفات المناسبة؛ بحيث أن الناتج عن جوازهم يصلح أب لجنس تالت جديد، جنس، لا هو ملاك ينقرض، ولا شيطان يستشري.

آدم: حل معقول جداً وسهل كمان.

العالم: معقول جداً آه، إنما سهل مش سهل أبداً، دا أصعب من الصعب، إزاي تلاقي بين حوالي ألف مليون راجل في العالم، الشخص المناسب؟

آدم: مشكلة صحيح، أmaal عملتو إيه؟

العالم: دلوقتي الصوت بقى واضح جداً، سامع؟

آدم (مستمعاً): الظاهر إن فيه حاجة بتزن فعلاً.

العالم: ده مش زن، دا أكيد اختلال في نظام التواءم، والمؤكد أن النور بقى أصفر، مش شايف صفاره؟

آدم: دا زي ما أكون دا يخ م الجوع.

العالم: التواؤم بيتفكك، هي قطعاً بتبتعد.

آدم: يمكن ابتعاد مؤقت.

العالم: ما اعتقدش، ده ابتعاد مستمر، دا لازم بدأ من زمان من قبل ما تمر حنة ترتكب خطيئتها، لو كان التواؤم كامل ساعتها ما كانش ممكن تتمرد بالشكل ده.

آدم: طب بس أرجوك، قدامنا وقت طويل نتناقش فيه، أنا دلوقتي عايز أعرف قدرتو فعلاً توصلوا للشخص المناسب؟

العالم: أعتقد إن الوقت قدامنا مش بالطول اللي انت فاكره، بيتهيا لي وقتنا محدود جداً، أبوة وصلناله.

آدم: وطلع مين؟

العالم: الحلقة نمرة ستة في عمر صفة الذكاء، إنت عارف إن جنسنا وحدته مش البني آدم الواحد، إنما وحدته هي الصفة زي الذكاء أو الفن أو قوة الذاكرة، كل صفة عمرها مكون من أعمار متتالية، بتتولد في شخص وتكبر في ابنه وهكذا لغاية لما تظهر في الجيل السابع ويسموا الشخص عبقرى.

آدم: ومين بقى الحلقة نمرة ستة في عمر صفة ذكاؤه؟

العالم: إنت، إنت أنسب واحد واللي حييجي بعدك مش قبل ميت سنة، تكون هي فقدت القدرة على الإخصاب.

آدم: أنا؟ مين قال إنى أنكى وأحسن واحد؟

العالم: احنا مش بندور على الأذكى والأحسن، احنا بندور على اللي لما يخلف يخلف الأذكى والأحسن.

آدم: أما حاجة غريبة، طب والتزواج يتم ازاي بقى؟

العالم: لازم يتم في أقصى درجات الحب وإلا ما ينفعشي ولا الجنين يتكون.

آدم: طب الحب دي مسألة مش في إيدينا.

العالم: ما اعرفشي ازاي تحصل إنما لازم ننجح، دي فرصة البشرية الأخيرة وفرصة الجنس التالت ولا يمكن تفشل.

آدم: طب هي فين آمال؟ ممكن أشوفها؟

العالم: يا ريت ليها وجود زي وجودنا محدود ومعروف، هي كانت بتتجسد لي على هيئة نفرتيتي اللي باحبها.

آدم: طب وما تتجسدشي لك على هيئة واحدة عايشة ليه؟

العالم: لأنها إذا عملت كدة يكون التجسد نهائي وما تقدرشي ترجع.

آدم: يعني أنا لازم أتخيل واحدة باحبها قبل ما أحبها؟ دا كلام ده؟! إزاي حا اعرف أعمل كدة؟

العالم: إنت أملنا ومنقذنا ولازم تعرف.

آدم: طب ما دام كدة المسألة تزواج وحب ما كانشي ممكن استدعى بطريقة ألطف؟

العالم: الطريقة دي كانت لازمة عشان تحدث في شخصيتك آخر اللمسات اللي احنا عايزينها.

(فجأة يعلو الصوت النشاز بشكل واضح ويتبدى ضوء أصفر قوي يصفر له كل شيء.)

العالم (وكأنما يُحدث الكون كله بصوت مرٍّ مستغيث): يا كل ذرات هذا الكون وجزيئاته ... يا كل أحيائه وغير أحيائه، أهيبوا معي بـ «هي» أن تعود، أو حتى للحظات تُفكر فينا، بكل ما تملكون من قدرة أطلقوا استغاثة الحب الأخيرة.

(تتصاعد الاستغاثة على هيئة نغمة موسيقية لاهثة.)

(شيئاً فشيئاً يبدأ الضوء الأصفر يَنْقَشِعُ وكذلك الصوت.)

آدم: دي باينها رجعت، دي حاجة مرعبة، بقى أنا عليّ إني أحب كائنة زي دي تقدر تغذي مدينة بالحب، أرجوك قوللي أعمل إيه؟

العالم: من ناحيتي أنا، أنا مهمتي انتهت، أنا بلغت، وانت بقيت المسئول الحقيقي، اللهم بلغت، اللهم فاشهد.

آدم: البلاغ تم صحيح، إنما لازم أعرف حا اقابلها ازاي وفين وإمتى، وازاي أستدل عليها أو تستدل عليّ؟ دا كله لسة ما بلغتوش.

العالم: وازاي أبلغ حاجة ما اعرفهاش، دي علاقة إنسانية يا ابني، أول علاقة بين جنسين هائلين من جنس الإنسان، كل اللي أقدر أقولها لك إنها مش حتظهرلك إلا إذا أحست هي إن حاجتك ليها بقت أكثر من حاجتك لأي شيء آخر، للحياة نفسها.

آدم: وازاي دا يحصل بس؟

العالم: دا بيتوقف عليك، من دلوقتي بقت مسألة بينك وبين نفسك.

آدم: بعد دا كله تبقى مسألة بيني وبين نفسي؟

(يفرك كفّيه بقلق عظيم.)

نفسي أعيط.

العالم (بابتسامة طيبة): دي بداية مبشرة فعلاً ... أنا دلوقتي حاسس ...

(فجأة يتوقف عن الحديث ويظلُّ على نفس وضعه بنفس ابتسامته وتعبيره وتحديقته تجاه آدم، وقد مات كمن انقطع عنه فجأة تيار الحياة وتحول إلى تمثال.)

(يحدق آدم تجاهه باستغراب ثم بقلق، ثم يندفع إليه ويمسك بيده ويتحسسها ويقول وكأنما لنفسه):

آدم: بالسهولة دي؟ وفي تمام صحتك كدة؟

(ثم وكأنه يفطن إلى أمر فاته، ينحني راکعًا أمام العالم ممسكًا بيده بـكلتا يديه ومخاطبًا إياه وكأنه لا يزال حيًّا):

أرجوك ... اغفر لي وسامحني ... أنا حالي بس فهمت ... فعلًا كان لازم تموت عشان أصدقك.

(ثم ببطء يعود للوقوف ويتطلع إلى السماء، وفي نفس اللحظة يكون الصوت الرنان النشاز قد عاد والضوء الأصفر قد انصبَّ بقوة وغمر المسرح.)

آدم: ساعدني يا رب ... امنحني كل ما منحتَه لرسلك.

(يظهر عشاوي على الباب، بينما في الخارج يدوي صوت عربة، ينطلق آدم ناحيته ويخرجان، ويبقى المسرح فارغًا إلا من جسد العالم وهو فوق المرجيحة يتأرجح في الهواء بينما الصوت يعلو والضوء الأصفر يغمق أكثر وأكثر حتى يستحيل إلى ظلام ويتوقف الصوت، ثم ببطء يُسدل الستار.)

(ستار)

الفصل الثالث

المنظر الأول

(في معمل الدكتور آدم، آدم جالس مفتوح الساقين والذراعين وقد تهدّلت أطرافه فوق كرسي ذي مساند، «نارة» تترك العمل الذي تقوم به وتُواجهه.)

نارة: دكتور آدم ... أنا صحيح مجرد المساعدة بتاعتك، وماليش أي حق إني أخرج عن الحدود دي، إنما أرجوك تسمحلي أقول لك كلمة.
آدم (بخمول شديد): عارف ح تقولي إيه.

نارة: أنا آسفة، لأ، ما انتاش عارف، كون إنك تفقد الحماس للشغل، إنت حر، كون انت تغيب، وأحياناً تيجي عشان تروح، برضه مش مهم، كون انت لما بتيجي، بتقعد سارح بالساعات في المعمل وأحاول أكلّمك أو أخرجك عن السرحان ده، ما فيش فائدة، برضه مش هو المشكلة.

آدم: أمال إيه المشكلة يا نارة؟

نارة: المشكلة إني حاسة إنك ما بقيتش انت، شكلك هو هو، عوايدك هي هي، كلامك هو هو، بس انت مش انت، الدكتور آدم القديم اللي كنت أعرفه، إنما انت، دلوقتي، مين؟ صحيح، اسمح لي أسألك، إنت مين؟

آدم: ح كون مين يعني؟ ما أنا برضه آدم القديم.

نارة: مستحيل، آدم دكهه كان عارف هو مين، ولذلك كانت الناس كلها، وأنا منهم عارفة هو مين، إنت دلوقتي ما حدش يعرف انت مين؛ لأن بيتهياّلي إنك انت شخصياً ما بقتش عارف انت مين.

آدم: يعني عايزة تقولي إني اتغيرت؟

نارة: يا ريت، أنا عايزة أقول إنك مش غبت غيبة طويلة وبعدين رجعت، ولو متغير، إنما رجعت، أنا عايزة أقول إن آدم اللي خرج من هنا مارجعش، ضاع.

آدم: أمال اللي رجع مين بقى يا عبقرية؟

نارة: واحد تاني خالص، يُمكن حتى ما يعرفش كان فين، ولا جرى له إيه.

آدم: أنا معاكي إن اللي رجع واحد تاني، بس مش واحد ضاع، إنما واحد يمكن لأول مرة لقي نفسه.

نارة: وهو الواحد بيلقي نفسه عشان يعيش بيها ولّا بيلاقبها عشان يبطل يعيش؟ انت حاليًا مش عايش، إنت بتؤدي الحياة زي ما تكون واجب مدرسي ثقيل، بتؤدي الأكل مش بتاكل، بتؤدي البحث مش بتبحث، حتى الكلام، بتؤديه.

آدم: جايز.

نارة: طيب ليه؟!

آدم: يمكن لأن الأكل والعمل والكلام والحياة كانت أهم حاجة عندي، دلوقتي اللي عايزه حقيقي لا هو الأكل ولا الشرب ولا البحث، حاجة غير ده كله.

نارة: والحاجة دي إنت عارفها؟

آدم: اللي يجنن إني عارفها ومش عارفها، إنها أهم من حياتي ووجودي، وفي نفس الوقت كل معلوماتي عنها إني عايزها، ما عننتش عايز م الدنيا حاجة غيرها.

نارة: دي ألغاز دي!

آدم: فعلاً هي لغز!

نارة: طب ما تحله.

آدم: المضحك إنه لغز لازم هو اللي يحل نفسه.

نارة: فيه حاجة اسمها لغز يحل نفسه؟

آدم: أصله مالوش نظير.

نارة: وبعدين؟

آدم: ولا قبلين، لغاية ما يحل نفسه أديني قاعد زي ما بتقولي أدي واجب إني حي.

نارة: طيب ما دام المسألة انتظار، ما تعمل حاجة أفيد.

آدم: زي إيه؟

نارة: تكمل البحث بتاعك، إنت مش عارف قيمته؟

آدم: حتكون قيمته إيه يعني؟

نارة: يا نهار، دا موضوع ممكن يقلب حياتنا كلها، دا انت بتثبت فيه بالدليل القاطع أخطر نظرية اكتشفها عالم في عصرنا الحديث، بتثبت فيه إن العمر إرادة، إن الواحد بيشيخ ويموت لأن إرادته هي اللي بتشيخ، وإنه بيموت لما إرادته للحياة بتضعف وتنتصر عنده إرادته في الموت، والأخطر من كدة إنك وصلت لنص الطريق واكتشفت الإنزيم اللي لما يتحقن بيه الكائن الحي بيتدي يفقد إرادة الحياة وبدون أي سبب أو مرض أو تغيير ظاهر بيتدي يذوى ويموت، وناقص بس إنك تكتشف الإنزيم المضاد، اللي لما الواحد ياخده وهو على حافة الموت فتتكون له على طول إرادة الحياة، ويستعيد قدرته عليها، ويعيش.

آدم: وافرضي اكتشفته ح يحصل إيه؟

نارة: يحصل إيه؟! بقى لما يتحقق للإنسان القدرة على التحكم في إرادة الحياة عنده، حاجة سهلة؟! دا اكتشافك يقيم الدنيا ويقعدها، يغير كل مفاهيمنا ونظرياتنا، ومن

أنياب الموت ينقذ آلاف وملايين.

آدم (بسخرية): عشان يعملوا إيه؟

نارة: عشان يعيشوا.

آدم: وإيه فائدة إنهم يعيشوا الحياة اللي إحنا عايشينها دي؟

نارة: دكتور آدم ... إيه الكلام ده؟ إيه فائدة إنهم يعيشوا؟! إوعى تكون حققت نفسك بإنزيم الموت.

آدم: ما تخافيش، أنا عمري ما كانت عندي إرادة حياة زي اللي عندي دلوقتي، بس المشكلة ...

نارة: أيوة ... إيه هي المشكلة؟

آدم: يا ريت تتحل باني أقولها لك، يا ريت في إيد أي حد في الدنيا إنه يحلها يا ريت.

نارة: حتى إرادة الحياة اللي عندك ما تحلهاش؟

آدم: الإرادة! الإرادة! قعدنا أجيال نحلم بالإرادة، ونخطب، ونكتب ونقول، ونمجد في الإرادة لما قدسناها، وبقت كلمة السر اللي لو وصلناها، ح تتحل مشاكل البشرية، والمشكلة مش هي قوة الإرادة، المشكلة هي هدف الإرادة، ماذا تريد؟ أهم مليون مرة من كيف تريد؟

نارة: وهو فيه أجمل وأنبل من إرادة الحياة؟

آدم: مش لما تكون الحياة أولًا أجمل وأنبل حياة.

نارة: ما هي بالإرادة برضه ح نخلي الحياة أجمل وأنبل.

آدم: طب ما احنا عايزين كدة من يوم ما بقينا بني آدمين، ما اتحققش ليه؟

نارة: لأننا ما عزنناش ده بقوة كفاية، لو أردنا الحياة أجمل وأنبل بنفس القوة اللي بنريد بيها الحياة لحققنا ما نريد.

آدم: طب وإرادتنا ضعيفة ليه؟

نارة: مين عارف، يمكن لأننا أحياناً بنفضل إننا نقبل الوجود أحسن ما نغامر ونخسره.

آدم: يبقى طبيعتنا نفسها، مش إرادتنا هي اللي عايزة تتغير.

نارة: خلاص، يبقى عليك إنك تبتدي البحث عن إنزيم يغير الطبيعة.

آدم: ابتديت البحث، وعرفت الإنزيم.

نارة (باندهاش عظيم): بتضحك عليّ؟

آدم: باتكلم جد، ما هي دي المأساة.

نارة: طب ومستني إيه؟ ما نعلن الاكتشاف ونبتدي التطبيق.

آدم: عرفتي بقى السبب، أهو هنا بقى يبجي اللغز اللي لازم يحل نفسه، الإنزيم هو اللي يملك الإرادة مش أنا، لأول مرة أحس إني مش مالك شيء، هو اللي مالكني، إن البحث مش في قبضتي، أنا اللي في قبضته.

نارة: يمكن لو تعوزه بشدة.

آدم: أنا كل ذرة في جسمي عايزاه وبتتاديه، أنا فعلاً اتغيرت زي ما بتقولي، أنا أصبحت كائن عايز، كائن راغب، كائن كل نبضة فيه مش بتتبض له، بتتبض رغبة، بإرادتي وبخارج إرادتي بوعي وبلاوعي، بطاقة فوق طاقة البشر عايز.

نارة: يا سلام، أنا سعيدة بشكل، إنت فعلاً ما ضعنتش، كلامك الأخير ده طمني، زي جمرة من جوف بركان، إنت فعلاً جواك بركان، أنا غبية، أنا مافهمتش، أنا كان

لازم من غير ما تقول أفهم، أنا في منتهى السعادة إن يطلع في الآخر إن المسألة غبائي.

(يدق التليفون)

آدم (بزهق): شوفي مين وعايز إيه وخلصيني منه.

نارة: أيوة ... أيوة ... مشغول خالص، ممكن أعرف الموضوع، أيوة، كدة، سويدية، أكبرج، هيلدا أكبرج، طيب أنا جاية بنفسي، العفو.

(تضع السماعة)

الظاهر إن حظك كويس يا دكتور آدم.

آدم: ليه حصل إيه؟

نارة: إنت فاكّر الجواب اللي جالنا من جامعة استكهلم وقلت أرد عليهم إنك موافق؟

آدم: مش فاكّر إنما حصل إيه؟

نارة: مش فاكّر العالمية السويدية اللي بعثت عن طريق كلية الطب هناك تطلب إنها تيجي شهر بعثة تتعرف فيها عليك وعلى الأبحاث اللي بتجريها والتي قرّيت عنها في مجلة «ساينس لانست»؟

آدم: خلصيني، مطلوب إيه؟

نارة: وصلت، وقاعدة عند سكرتيرة العميد، وعايضة تقابلك.

آدم: مش تقولي كدة وتخلصيني!

نارة: طبعًا دي مش ح ترفض تقابلها.

آدم: أرجوكي زي الشاطرة كدة، تروحي لها، وبكل لباقة تعتذري لها، وتفهميها إني مسافر، وتديها مواعيد تبقى تيجي لك بعد الظهر تشرحي لها اللي تقدري عليه.

نارة: بقى حد يعمل كدة؟ ... دي سويدية!

آدم: إن شاء الله تكون كويتية!

نارة: دا يمكن يكون فيها حل اللغز يا دكتور آدم، ما تتسرعش!

آدم: ما افتكرش، ياللا يا شاطرة.

(نارة تهز أكتافها وتسرع خارجة.)

آدم: هل ممكن الواحد يحب واحدة حب حقيقي وهو عارف ومتأكد إن ما لهاش شكل ولا اسم ولا مكان ولا وجود ملموس؟ حد ممكن يحب كائن لغز؟ إزاي ده كله يحصل لي، أنا امبارح فقت لقيت نفسي باكتب لها جواب، باقول لها عن حاجات عن نفسي عمري ما قلتها لحد، ويمكن لأول مرة باكتشفها في نفسي، الكلام كان طالع من قلبي كأنه مولع، كأنه شرار، كإني باحترق احتراق صامت مكتوم، احتراق شوق، مشتاق، أول مرة أعرف معنى الشوق، الشوق المؤلم المُمَتع في ألمه، الشوق اللي من روعته الواحد يخاف من اللقاء، لو مرة ثانية أسمعها تقول: هوووه، مرة واحدة بس أسمعها وأموت؟!

(نارة تدخل لاهثة وتظل واقفة تلهث.)

آدم: مالك؟

نارة: دكتور آدم، دكتور آدم، دي مش ممكن تكون من جنس البشر، دكتور آدم، دي لازم اتولدت من ملاك اتجوز شيطان، من قديس حب مومس، من جنية رافقت متصوف.

آدم: إيه ده؟ بتتكلمي عن مين؟

نارة: عن هيلدا، دي بالضبط المعجزة اللي جيا لك م السما، اسمع بقى: أنا عمري ما ظبطتك معجب بست، ولا كان بيتهيألي إنك حتلاقي في ستات البلد كلهم حد يعجبك، دي ... حتتمنى تبوس الأرض اللي واقفة عليها.

آدم: هي حلوة للدرجة دي؟

نارة: اللي تكفي كلمة حلوة إنها توصفها، ما تبقاش حلوة، الحلوة الأنثى، هي اللي ما تتوصفش، دي أتحداك إنك تلاقي كلام يوصفها.

آدم: أنا عارف طريقتك يا نارة: يا إما بتدبريلي في مقلب، يا إما إنك عايزاني بالعافية أفرش، وأنا لا فاضي للمقابل ولا للفرشة، أنا مُصر إنك تنفذي اللي قلتها.

نارة: من غير ما تشوفها كدة؟ إنت إيه، ما فيش حب استطلاع حتى؟

آدم: أنا بحب يا نارة وده كفاية.

نارة (بفرحة شديدة): بتحب؟! امتى وفيين ومين؟ أرجوك، رد لي عقلي واتكلم.

آدم: للأسف ما اقدرش أتكلم.

نارة: ولو، والله حتى لما تكون بتحب واحدة عرفتها مليون سنة، هيلدا هتخليك تغير رأيك، عارف مصادر الطاقة؟ دي منجم حب، نفسها حب، عرقها حب، كلامها همسات حب، لازم تشوفها، أنا جبتها وأهي ع الباب، دي ح تموت على إنها تشوفك، قالت لي إنها حتفضل واقفة لغاية ما تقابلك وانت خارج إن شالله تقعد لنص الليل، دا هي اللي باين عليها بتحبك من غير ما تعرفك.

آدم: أنا اللي عاجبني في الموضوع ده كله حماسك الزايد ده، دا انت جسمك كله بيرجف، وكأنك انتي اللي مُقبلة على مغامرة حب، خلاص يا ستي، علشان خاطرك، دخلتها.

(دون أن تغادر الحجرة تفتح نارة الباب وتُطل برأسها من فتحته، وتومئ، ثم تفتح الباب على آخره وتقف جانبًا.)

(من الباب تدخل أنتى ساحرة حقًا، ترتدي بدلة فيها كل الجاذبية التي دفعت مصممي الأزياء لاكتشاف موضة البدل، من فرط أنوثتها لا تستطيع أن تنظر إلى وجهها مباشرة، تظل مأخوذاً بمنظرها حتى تهدأ فتبدأ ترى الوجه، وجه ليس نقطة البداية لأنوثتها وجمالها وإنما هو نقطة النهاية.)

(تدخل، تتوقف بغتة محدقة تجاه آدم الذي يُروّع بمنظرها، لا تُحوّل عينيها عنه، وإنما تظل تحدق تجاهه وكأنها ضاعت تمامًا فيه، ثم كالسائرة أثناء النوم، تقترب منه، مادة يديها وعيناها لا تتحولان عن عينيها، إلى أن تعثر يداها الممتدتان بذراعيه فتُمسكهما وتظل تهبط بيديها متحسّسة حتى تعثر على كفيه، فتقبض عليهما قائلة):

هيلدا: دكتور آدم.

(آدم يرتبك، يتحول بوجهه من ناحية إلى أخرى، وإلى أعلى وأسفل، وتجاه نارة.)

آدم: الله، إنتي بتتكلمي عربي كويس! غريبة أوي.

نارة (بحماس): قالت لي إنها اتعلمت عربي مخصوص عشان نتفاهم معاك.

آدم (ناظرًا لهيلدا التي لا تزال ممسكة بكفيه): صحيح؟

هيلدا: أخيرًا ... إنت؟

آدم: أخيرًا ازاي؟ مش فاهم.

هيلدا: عفواً، اعذرني، أنا حلمت كثير باللحظة دي.

آدم: عشان اهتمامك بالأبحاث طبعًا؟

هيلدا: أكثر عشان اهتمامي بالراجل اللي فكر فيها، بك.

(تتململ يداه ارتباكًا، فتتنبه هيلدا وتترك كفيه.)

هيلدا: آسفة ... أعتقد إنني يلزمني بعض السيطرة على نفسي.

آدم: إنتي باحثة في أي فرع؟

هيلدا: في نفس فرعك.

آدم: خدتي الدكتوراه؟

هيلدا: كانت رسالتي فقرة وردت في رسالتك.

آدم: بس رسالتي ما انتشرتش برة، إزاي عرفتها؟

هيلدا: من زميل لك مصري زار كليتنا.

آدم: اعذريني بس صعب قوي إن حد يصدّق إن واحدة زيك واخدة الدكتوراه في الميكروبيولوجي.

هيلدا: ليه ما يصدقش؟

آدم: لأنك ...

هيلدا: أيوة ... لأنني ...

نارة: انطق يا أخي.

آدم: شكلك يعني مش أكاديمي.

هيلدا: أمال إيه؟

نارة: أيوة أمال إيه؟

آدم: قصدي مش عادي، غير عادي.

هيلدا: في إيه؟

نارة: فقعت مرارتي قول.

آدم: يمكن حلوة.

هيلدا (بفرحة): رأيك إني حلوة؟ ... صحيح، إنت شايفني حلوة؟ ... مش مجاملة؟
... أنا عارفاكوا تحبوا تجاملوا ... صحيح بجد شايفني حلوة؟

آدم: طبعًا ... طبعًا ... يمكن حلوة قوي كمان.

هيلدا (تنتابها فرحة طفولية فتكاد تقفز فعلًا): حلوة قوي ... تصوّري ... رأيته فيّ
إني حلوة قوي؟ أنا سعيدة ... سعيدة ... ح اتجنن من السعادة.

آدم: ياه ... للدرجة دي؟

هيلدا: دا أنا كان منتهى أُملي إنك ما تتضايقشي مني، أقوم أفاجأ إني في رأيك
حلوة وحلوة قوي ... أنا بعد ساعة أكون في ميدان العتبة وح اقف في وسط الميدان
وأغنيّ لكل الناس واقول أنا حلوة قوي في عينيه.

آدم: العتبة؟! اشمعنى العتبة؟ (بريبة مفاجئة).

هيلدا: عندي ميعاد في العتبة.

آدم (وقد امتّقع وجهه): بقى كدة؟ بقى انتي بقى ... إنتي فين يا هي ... إنتي فين
يا هيلدا من زمان، إنتي فين؟ أنا كنت بيُست خالص إنك تيجي.

هيلدا: يعني كنت بتنتظرني؟

آدم: زي المحكوم عليه بالإعدام لما بيتنظر العفو، زي المؤمن لما بيتنظر
المعزة.

هيلدا: إنت متأكد إنك بتكلمني أنا؟ كنت بتنتظرني أنا؟ متأكد إني أنا؟!

آدم: إنتي الحلم اللي أخيرًا بيتفسر، الأمل جاي بعد ما انتهى الأمل هي ... هيلدا!

هيلدا: اسمي صعب على لسانك، غَيَّرْهُ، سَمِّيني الاسم اللي يعجبك، إذا كان لبسي
مش عاجبك أجيلك عريانة وتلبّسني زي ما أنت عايز، إذا كان كلامي مش عاجبك قول
لي وأنا لغاية آخر يوم في عمري أصوم عن الكلام ما انطقش، قول بس، اطلب،

شاور، فكر حتى، أنا ملكك، من يوم ما اتولدت لغاية ما حاموت ملكك، رهن أي فكرة
تخطر في بالك، أي نزوة أي لوثة حتى لو اتجننت!

(نارة وهي في حالة سعادة غير عادية تتسحب على أطراف أصابعها من المشهد،
وتختفي من فتحة الباب الذي تُغلقه وراءها في هدوء.)

آدم: ده كتير قوي ده ... دا مفاجأة ما كنتش أحلم بيها!

هيلدا: هو إيه اللي كتير؟!

آدم: إني عاجبك للدرجة دي!

هيلدا: الإعجاب كلمة محدودة جدًّا، إعجاب إيه؟ دا أنا بجد حاسة إني من صنعك،
إن رجولتك هي اللي خلقتني ست، وجسمي انفصل من نموذج في دماغك، إنت
الحقيقة، الفعل، وأنا مجرد رد فعل.

آدم: دي حاجة تجنن، دا حب ده، حب حقيقي، دا ولا كأنه عمره ألف سنة.

هيلدا: وتصور من ألف سنة وأنا نفسي تحضني وتبوسني، من قبل ما اتولد، من
وأنا لسة شوية قمح، ولّا فتفوتة سكر.

آدم: نفسك يعني؟

هيلدا: نفسي، وكل لحظة بتفوت دلوقتي كأنها ميت سنة، أنا استيتك كتير،
وماعدتش قادرة.

آدم: بس أنا ...

هيلدا: ما بتحبنيش؟

آدم: مين قال كدة؟

هيلدا: أمال واقف ليه؟ متمالك نفسك ازاي؟ مش ممكن واحد بيحب يسمع اللي
قلت ويفضل متمالك نفسه.

(تقترب منه، تمسك بيديه وتضغطهما بشدة.)

هيلدا: أنا أهه، حاسة إني ملكك أكثر ألف مرة من إني ملك نفسي، انتظرتني صحيح؟

(تغمض عينيها وترفع إليه شفتيها في دعوة مفتوحة.)

آدم: انتظرتك كما لم أنتظر أو ينتظر مخلوق شيء أو مخلوق آخر.

هيلدا: انتظرتني ليه؟

آدم: لأن مقابلتك بقت هدف حياتي.

هيلدا: ده سبب عقلي، بعواطفك استنتتني؟

آدم: بكل عواطفي.

هيلدا: أنا يهمني منها عاطفة واحدة بس.

آدم: أي عاطفة.

هيلدا (بقلق): وفيه عاطفة غيرها؟

آدم: مش فاهم.

هيلدا (بقليل من فروغ الصبر): انتظرتني عشان كنت بتحبني مش كدة؟

آدم: بالضبط كدة.

هيلدا: وأنا جيت واتوجدت أهه، لسة الحب موجود؟

آدم: طبعًا طبعًا.

هيلدا: موجود فين وإيديك ما فيهومشي رعشة حب، وصوتك مافهشي بحّة

إحساس، وعينيك بتتدارى من عيني، وشفافيفي ماتت من البرد والوحدة وهي بتستتّى شفافيفك ...

(فجأة تسحب يديها منه بسرعة، وكالطلقة تندفع خارجة.)

آدم: هيلدا ... هيلدا ... هيلدا ... أرجوكي ارجعي ... دا مصير البشرية ...
أرجوكي.

(ستار)

المنظر الثاني

(المكان: شقة آدم، المنظر في غرفة النوم والمعيشة والسفرة وهي غرفة واسعة تُكوّن معظم الشقة، والشقة شقة أعزب، حديثة إلى حدٍّ ما، وأكثر ما يميزها هو أكوام الكتب والمجلات والمراجع المبعثرة في كل مكان، آدم في فراشه بالبيجامة وبجواره عدة مراجع تُكوّن كومة بجواره يتكى عليها، نارة على كرسي أمامه.)

آدم: أعمل إيه بقى يا نارة؟

نارة: ولا حاجة، ح تعمل إيه ... مشروع علاقة وفشل زي ما آلاف غيره من المشاريع بتفشل كل يوم، خلاص، انسى الموضوع وبكرة تلاقي زيها، ولّا يمكن أحسن منها.

آدم (معتدلاً في فراشه مذعوراً): إنتي بتقولي إيه؟! إنتي اتجننتي؟! مشروع علاقة فشل؟! ده لا يمكن يفشل، دانا أنتحر لو فشل.

نارة: الله، طب ما دام مهمة عندك العلاقة للمدى ده، ما استجبتش ساعتها ليه؟

آدم: ما هو كون إن اللي حصل حاجة، وكون إن العلاقة تفشل حاجة تانية.

نارة: يعني إنت عايز العلاقة تستمر؟

آدم: من صميم صميم قلبي.

نارة: أما حاجة تلخبط صحيح، إنت مش قايل لي دلوقتي إن اللي منعك من تقبيلها إنك حسيت إن حبها ليك أكبر بكثير من حبك لها، بل يمكن حسيت إن هي اللي بتحبك

بس، وإنه يكاد يكون حب من طرف واحد؟

آدم: أنا باحاول أغير موقفى.

نارة: وتفسير معقول فعلاً، واضح ان السبب الوحيد لعدم استجابتك إنك اكتشفت إنك ما بتحبهاش ومش قادر ترغم نفسك على حبها، طيب ما دام الوضع كدة، عايز العلاقة تستمر ليه؟ وتستمر ازاي؟

آدم: لأنها لازم تستمر، لو ما استمرتش ح انتحر.

نارة: أرجوك، يمكن أنا غبية، إزاي تنتحر إذا انقطعت علاقتك بواحدة ما بتحبهاش حتى لو كانت هي بتحبك، منين ما بتحبهاش ومنين تهكم علاقتكم لدرجة ممكن تكلفك حياتك؟ فسر لي المعضلة دي؟

آدم: مفيش تفسير، علاقتي بها لازم تستمر.

نارة: المسألة بسيطة، حبها.

آدم: يا ريت الحب بيخضع للإرادة.

نارة: إوهمها إنك بتحبها.

آدم: ولا الكذب ينفع، دي إنسانة بتحب بأظافرها وأطراف شعرها، ومهما حاولت فجسمها نفسه بيعرف اللي بيقوله جسمي مهما لسانى قال.

نارة: أمال فكرك يكون الحل إيه؟

آدم: يعني أنا مصحىكي م النوم وجايبك في عز الليل عندي بالطريقة المجنونة دي عشان إيه؟ مش عشان تلاقلي الحل؟ أصل الموضوع مش بسيط يا نارة، يكفي إنى أقول لك إن إذا علاقتنا انقطعت تحصل كارثة، حاجة أبشع م الكارثة.

نارة: أبشع ازاي؟

آدم: يعني أقل شيء يحصل، حاجة زي ما تقولي يموت من تحت راسها ألف واحد.

نارة: ألف واحد يموتوا لو انقطعت علاقتكم؟

آدم: ألف إيه؟ أنا مش عايز أخوِّفك، يمكن كل ساعة ألف.

نارة: إنت عايز تهوشني، إيه البتاعة اللي زي كدبة إبريل دي؟

آدم: إنتي عارفاني كويس يا نارة، وأنا مش قادر دلوقتي أشرح لك كل حاجة، يمكن في يوم حتعرفني، إنما دلوقتي مستحيل، وأنا باضربلك مثل غير صحيح، إنما صديقتي لما بقولك إن حاجات وحشة جدًا حتحصل لو فشلت علاقتنا، مصدقاني؟

نارة: اعتمادًا على إحساسي فعلاً باين إنك صادق، وأنا مصدقك.

آدم: الحمد لله، يبقى انتي معايا إن لازم العلاقة تتجح وتستمر.

نارة: من كل قلبي معاك.

آدم: إزاي تتجح والوضع بقى واضح زي الشمس؟

نارة: ما فيش حتى في قلبك رغبة، مجرد رغبة راجل في امرأة؟

آدم: أنا عمر ما الرغبة عندي بتتفصل عن الحب، الاتنين عندي شيء واحد، يا إما يوجد بكل بقوة، وإما لا يوجد بالمرة.

نارة: طب افرض إنها قبلت ان علاقتكم تستمر على الوضع ده، هي بكل الحب وانت من غير حب، على أمل إن عواطفك تتغير، تقبل إنت؟

آدم: دا أنا أتمنى بس أنا متأكد إنها حترفض، المرأة لا يمكن تقبل وضع بالشكل ده.

نارة: المرأة كامرأة آه، إنما المرأة لما بتحب بتقبل حاجات وأوضاع لا يصدقها العقل.

آدم: يعني تعتقدي إنها حترضى؟

نارة: لو كان حبها ليك حقيقي، حترضى، ولو لإعطائك فرصة أخيرة، بحيث لو فشلت ما تندمشي.

آدم: وهنا يبجي دورك يا مساعدتي العظيمة.

نارة: أي دور؟

آدم: أن تعيدي الاتصال.

نارة: بس كدة؟ على عيني.

آدم: أرجوكي، ضروري سابت عنوانها في المعهد، ولّا بلاش، التليفون أهه، وقدامنا من هنا للصباح نسأل في جميع الفنادق والبنسيونات بجميع درجاتها.

نارة: برضه بسيطة.

آدم: ولحظة ما نعرف مكانها ح تروحي تقابليها، وما اعرفشي ح تعملي إيه، ح تقولي إيه، إنما زي ما قلت لك مصير ناس لا تُعد ولا تحصي في إيدك، وأنا منتظر هنا في الشقة، مش ح انتقل لغاية لما اشوف تاني وش هيلدا وأسمع صوتها.

(إظلام)

المنظر الثالث

(هذا المشهد يمكن أدائه كما هو مكتوب، ويمكن أدائه بطريقة «البانتوميم» بلا حوار وإنما بموسيقى معبرة فقط، ويمكن حتى أدائه على شكل رقصة باليه تعبر تعبيراً دقيقاً عن كل محتواه.)

(حين تعود الإضاءة، تعود بحيث تظهر الشخصيات سيلويت طوال المشهد كله.)

(آدم واقف وظهره إلى المتفرجين، يحدق وكأنما من خلال حائط زجاجي كامل في شقته، حركاته وعصبيته تدلُّ على أنه في حالة انتظار وأن انتظاره طال، ما يكاد الجرس يبدأ يدق حتى في قفزة يكون قد فتحه، ويبدأ يدخل متراجعا، بينما ببطء وبكبرياء تتقدم هيلدا، سيلويت أيضا، سلّمتة يدها وهو قابض عليها بكلتا يديه في حرص بالغ، ينحني ليقبّلها فتسحبها منه وتبقيها إلى صدرها مكتوفة.)

آدم: ليه يا هيلدا؟

هيلدا: لأنني مش جاية اشتراك في مسرحية، ولا أضحك على نفسي، ولا أسمح لك إنك تضحك على نفسك.

آدم: أنا خايف برضه تظلميني المرة دي زي ما ظلمتيني المرة اللي فاتت.

هيلدا: أنا مش ممكن أظلمك، مش لأنك ما تستحقش، ولا لأنني كويسة، إنما لسبب واحد: إني بحبك.

آدم: بلاش ظلمتيني، حكمتي عليّ بقسوة على الأقل.

هيلدا: الأصح إني حكمت على نفسي.

آدم: حكم متسرّع، المرة دي بارجوكي بلاش الأحكام السريعة.

هيلدا: وأنا أرجوك بلاش الافتعال، أنا من كتر إحساسي ببيك بعرف اللي ح تقوله قبل ما تقوله، ولو قلت غير الحقيقة بعرف منها الحقيقة، يعني سواء قلت الحق أو قلت كذب ما يفرقشي عندي، إنما لو بالغت أو كذبت ح احس إنك بتهيني.

آدم: أنا؟ أهينك؟ إنتي؟

هيلدا: أنا برضه مش ح اخدعك، أنا مش جاية هيلدا اللي بتحبك، مش الحب هو اللي جابني.

آدم: أمال إيه اللي جابك؟

هيلدا: مجرد رغبتني إني أعرف جواب لسؤال ما حدث يجاوب عليه إلا أنت.

(تبدو خيبة الأمل على آدم.)

آدم: بقى عشان كدة جاية؟

هيلدا: أمال تفتكر جاية أتوسل إليك وأرجوك إنك تعطف عليّ وتحبني؟

آدم: هيلدا ... بلاش الكلمات القاسية دي.

هيلدا: عندك حق، إنت مالکش ذنب، وأنا عارفة لو المسألة بالإرادة كنت لا بد ح تريد تحبني.

آدم: يا هيلدا الحب أنواع، والناس طرقهم في الحب مختلفة، إنتي حبك زي الصاعقة، في ومضة بينفجر ويصل إلى أقصى مداه، إنما يمكن أنا من نوع ثاني، نوع، المفاجأة تربكه، طبيعته أقوى من قدرته على التعبير عن عواطفه، الحب العميق، زي المياه العميقة، الوصول إليه عندي صعب، ومليان مشاكل، وأخذ ورد، وإقدام وتردد، وخوف وتهور.

هيلدا: الطرق مختلفة آه، بس المبدأ يا موجود يا غير موجود، وبرضه ده مش موضوعنا.

آدم: أمال موضوعنا إيه؟

هيلدا: نارة قالت لي إنك عايز فرصة ثانية ... وأنا وافقت عشان كمان أدّي نفسي فرصة ثانية، فرصتنا الأولى كانت لقاء وفرصتنا الثانية سؤال، أنا ح اسأله وإنت عليك تجاوب عليه، وإجابتك هي اللي ح تحدد مصير الفرصة.

آدم: ح تحددنا ازاوي؟

هيلدا: لأنها ح تحدد إنت إيه.

آدم: وإيه أهمية أنا إيه؟

هيلدا: لأن عشان أحبك من غير ما تحبني لازم تستاهل تتحب لذاتك، الإجابة
حتحدد ذاتك إيه، وبالتالي ح تحدد مصيري معاك.

آدم: ولو إني مش موافق على الفكرة ولا على إن العلاقات بين الناس بتقوم بسؤال
أو بتنتهي بجواب، إنما ما دام دي رغبتك أنا مستعد أحقق كل اللي تطلبه، إيه هو
السؤال؟

هيلدا: السؤال هو: ما دام مفيش من ناحيتك حب، إيه حرصك الشديد على أن
علاقتنا تستمر لدرجة زي ما بتقول نارة إنها إذا انقطعت أو فشلت ح تنتحر؟

آدم: دا انتي اللي بتسألني السؤال ده؟ أنا أفهم إن نارة تسأله، معلش، أي حد
غيرك، جايز، إنما انتي بالذات تسألينه؟ حاجة غير معقولة.

هيلدا: غير معقولة ليه؟

آدم: لأنك انتي تعرفي الجواب، وأنا باستغرب ازاي بتتصرفي في علاقتنا
بالبساطة دي وانتي عارفة الجواب.

هيلدا: وإذا قلت لك إني ما اعرفوش.

آدم: تبقي حاجة من اتنين؛ يا بتمتحنيني يا بتسخري مني.

هيلدا: يا إما أبسط من كدة وكدة ما اكونش بجد عارفاه.

آدم: أهو أنا دلوقتي متأكد إنك بتسخري مني.

هيلدا: دا أنا دلوقتي اللي متأكدة إنك بتهرب م الجواب.

آدم: أنا اللي بهرب؟ والله «هي» اللي بتستخبي؟

هيلدا: هي مين؟

آدم: احنا ح نلعب استغماية والبشرية مصيرها معلق في إيدينا؟

هيلدا: أنا حقيقي ماعدتش فاهمة حاجة.

آدم: وأنا اللي ح يجنني ازاي انتي فاهمة كل حاجة، وبتقولي إنك بتحبيني وبتمكري عليّ المكر ده كله؟

هيلدا: أرجوك يا آدم، أنا بجد عايزة أفهمك، وعايزة أصدقك، وانت باين فيه حاجات كتير عندك ومش عايز تقولها، مخبيها ليه؟ قولها ... إنت في كل العالم ده مش ح تلاقي واحدة تحبك أو مخلصالك أو تحافظ على أسرارك قدي، ما تخبيش عليّ حاجة، قول.

آدم: مش عيب تتحولي من دور المحبة إلى دور اللي بتستدرجني عشان توقعني؟ أنا اللي عايز اعرف هدفك إيه من اللعبة دي، عايزة تخليني اعترف لك بحاجات انتي أكثر واحدة عارفاها ليه؟ أرجوكي، قوليلي ليه؟

هيلدا: إذا أقسمت لك إن ماليش أهداف، وإني حقيقي مش عارفة ببتكلم عن إيه، وإني بجد بحبك، وإني باطلب منك، بكل ما أملك من حب وإخلاص، ولآخر مرة إنك على الأقل تحترم عواطفي ناحيتك وتجاوبني ع السؤال اللي سألتهولك وتفسر لي إيه «هي»، وإيه البشرية، وإيه تأكدك إني عارفة حاجات مانيش عارفاها، إذا طلبت منك كدة لآخر مرة ح تعمل إيه؟

آدم: ح اقولك أنا آسف جدًا إني مش ح اقدر أحقق طلبك، إنما بارجوكي وأبوس إيديكي ورجليكي إنك ما تاخديش ده حجة تقطعي بيها علاقتنا.

(تنظر له هيلدا طويلًا، نظرة ساخرة مريرة.)

هيلدا: وبتكلم عن علاقتنا؟ وخايف إني أقطعها؟ أقطع حاجة مالهاش وجود؟ وعمرها ما اتوجدت؟ أنا أرجو بس إني ما اعشي أندم على الحب اللي حبيتهولك، واللي مخليني دلوقتي باندم حتى على إني ست.

(وفي لحظة تختفي وكأنها تبخرت.)

(ستار)

الفصل الرابع

المنظر الأول

معمل الدكتور آدم

آدم: حضرتي كل حاجة؟ إوعي تكوني نسييتي توصلي سلوك جهاز رسم القلب.

نارة: أنا عمري نسييت حاجة يا دكتور، اشمعنى المرة دي ح انسى؟

آدم: معلش، زيادة في التأكد، دي التجربة نمرة ٧٧ وآخر مرة راح أحاول فيها، ولازم ننجح، ماعدتش أقدر أستحمل فشل تاني، أنا تلافيت كل العيوب اللي كانت في الإنزيمات اللي فانت ووصلت بده لحد الكمال.

نارة: إنت فعلاً تعبت فيه.

آدم (وكأنه يحدث نفسه): أصلها مش مجرد تجربة أخرى أو حتى أخيرة، دي حظيت فيها آخر أمل لحياتي كلها، ما دام فشلنا في المهمة الأكبر، ماعدش قدامنا إلا إننا ننجح في دي.

نارة: بتكلمني يا دكتور آدم؟

آدم (تائها): لأ.

نارة: أنا تعبت قوي يا دكتور من الحيوانات الغلابة اللي بقالي أسابيع وكل يوم أشوفها قدامي بتموت، نفسي بجد ننجح المرة دي، أنا ماعدتش أقدر أستحمل أشوف حيوان تاني بيموت.

آدم: أنا عارف أنا تعبتك معايا، بس تأكدي إن لحظة النجاح ح تضيع كل الألم. (ثم مغيراً لهجته) أظن مفيش داعي إني أقول لك، إنما احتياطياً حفرك، دي الحقنة

اللي فيها «إ. إ. م» (إنزيم إرادة الموت)، بنديها للحيوان لغاية ما جهاز رسم القلب يورينا إن القلب على وشك التوقُّف، بندي للحيوان الحقنة دي في الوريد، «م. أ. ح. ٧٧» الجديد ده، إنتي عليكي خلال التجربة رصد سلوك الحيوان وحركته، وأنا ح اتابع الأجهزة، نبتدي.

نارة: اتفضل.

آدم: هاتي لنا المرة دي الأرنب نمرة ٩٥.

نارة: ٩٥ اللي هنا ده؟ (مشيرة إلى الأرنب الموجود في قفصه السلكي على رف المعمل).

آدم: أيوة هو.

نارة (تبدو عليها علامات انزعاج متزايد): بس ...

آدم: بس إيه؟

نارة: دا مفروض يستنى هنا على طول، ده «الكنترول» اللي بنقارن بيه التانيين.

آدم: ما عدناش عايزينه دي آخر تجربة، وحنستعمله هو بالذات فيها.

نارة: أرجوك يا دكتور ... أنا عمري ما طلبت منك حاجة أبدًا، ممكن أتجرأ وأطلب منك طلب صغير؟

آدم (باستغراب): طلب إيه؟

نارة: ممكن عشان خاطري بلاش ٩٥، نختار واحد تاني.

آدم: وإيه الفكرة يعني؟ ما كلهم أرايب زي بعض.

نارة: أصل ده بالذات بقاله معانا في العمل مدة، وأنا بنفسي اللي كنت بأكله وأحيانًا كنت ألاعبه، وخذ عليّ لدرجة أنه كان بيمد إيدته من القفص ويلعبني، الأرنب ده بالذات باحبه، وحتضايق قوي لو جرى له حاجة.

آدم: من الناحية دي ما تخافيش، دا انتي ح تتبسطي قوي إن أرنبك ده كان أول حيوان يستعيد إرادة الحياة وينجح التجربة.

نارة: بس الاحتمال الثاني موجود.

آدم: بنسبة لا تُذكر، ياللا ياللا ما تخافيش، دا لازم تحسي بالفخر إننا ح ندخله التاريخ.

آدم: وحياتك يا دكتور بلاش ٩٥.

آدم: نارة، العلم مافهشي عواطف، وده أمر، ياللا، هاتيه.

(بصعوبة بالغة وألم زائد تتحرك وتجيء به وتسلمه لآدم وهي تودعه بنظراتها وكأنما الوداع الأخير.)

لأ، بلاش التكشيرة دي وحياتك، إحنا بنستعد للنجاح، الابتسامة مش أليق به؟

(ينشغل آدم في استخراج الحيوان وتثبيته على منضدة للتجارب وإيصاله بالأجهزة المختلفة، بينما هو مستمر في الحديث.)

دا انت شقي بشكل، بقى هو ده يا ستي الحبيب المجهول؟ أنا قاعد أقول يا ترى نارة بتحب مين؟ بتحب مين، ويطلع في الآخر ٩٥؟ يا بختك يا ٩٥.

نارة: إنت متأكد يا دكتور أن الإنزيم ده حيدي نتيجة أكيدة؟

آدم: أنا عمري ما كنت متأكد من نتيجة حاجة بعملها زي ما أنا متأكد المرة دي.

نارة: يعني أطمئن؟

آدم: ثقي إن حبيبك المجهول حيرجلك بعد الرحلة الغريبة اللي حنبعته فيها ليخطف نظرة على وادي الموت والعودة بسرعة، وحيكون أول كائن حي يعمل رحلة بالشكل ده.

نارة: مش عارفة ليه ابتديت أتفاءل؟ الظاهر فعلاً نجاحنا مش حيجي إلا مع ٩٥.

آدم (منتهياً من عمله): دلوقتي كله جاهز، نبدأ الخطوة الأولى، إديني حقنة إنزيم
إرادة الموت، اقريبها كويس ... أ. أ. م (نارة تتناول الحقنة وتقرأ ما كتب عليها ثم
تعرضها تحت بصره ليطمئن). مضبوط.

(يمد يده ويتناول منها الحقنة بصعوبة وكأنها تُقاوم، بعد تردد قليل تُخفي نارة
وجهها إلى الناحية الأخرى في نفس اللحظة التي يصدر فيها عن الأرنب صوت تأوّه،
يسحب آدم الحقنة بعد نهايتها ويضعها جانباً.)
تمت الخطوة الأولى بنجاح.

نارة (باضطراب): ما هو دائماً الخطوة الأولى بتتم بنجاح.

آدم: ارصدي لي الحركة والتنفس.

نارة: التنفس أسرع، الأرنب بتململ، وقف فجأة، بيشب بدماعه لفوق خالص، نتى
رجليه اللي قدام، اللي ورا انتنوا رخرين، بيميل بجسمه ناحية الأرض عايز ينام، بقى
على جنبه، التنفس بطيء، بقى أبطأ، أبطأ، يا دكتور آدم ... مش كفاية بقى؟ حانستنى
لإمتى؟

آدم: القلب لسة كويس.

نارة: التنفس بقى بطيء قوي، بيتهيا لي إنه بطل يتنفس.

آدم: بيتهيا لك بس، أنا عندي يا دوبك الموجة الأولى اتأثرت شوية، النهضة قوتها
بتقل، الموجة الثالثة بتقل.

نارة (كالمستغيثة): القلب لسة كويس.

آدم: دا مش شغلك، إديني الحقنة الثانية، إوعي تغلطي، م. أ. ح ٧٧ ح.

نارة (باضطراب أشد وهي تتبع الحقنة تحت بصره): مش مضبوط؟

آدم: أعصابك يا نارة ... كلها مسافة الحقنة وخلاص.

(يغرز الإبرة في وريد الحيوان ويُفرغها ثم يضعها جانبًا.)

نارة (منحنية فوق الأرنب): ٩٥ أرجوك، عيش، اصحى، إوعى تموت، أرجوك، إوعى تموت، يا دكتور، دكتور، إوعى يموت (آدم يلقي ناحيتها نظرة صارمة ثم يعود لمراقبة أجهزته) دا ما بيتحركش خالص، دا مات يا دكتور، دا مات.

آدم (باضطراب وعصبية): اسمعي، إذا كنت حتلخبطيني كدة، اخرجي برة الأوضة خالص، الله، سيبيني أشوف شغلي.

نارة: حاضر، شوف شغلك، بس انقذه، موّتتي حتى بس انقذه (آدم ينهمك في تتبع أي نبض أو علامة حياة في أجهزته، يمسك بيديه الأرنب ويتفحصه، ينظر مرة أخرى إلى الأجهزة، يعود يتحسّس الأرنب، ببطء يرفع رأسه علامة أن لا فائدة).

نارة: مات؟

(آدم يخفض رأسه.)

مش ممكن يموت، انقذه، حرام عليك تسبيه كدة، شغل مخك ده (وهي تهز آدم من كتفيه بشدة) وانقذه، مش ممكن تسبيه للموت، دا كان حي وصاحي وكان زمانه حي وصاحي، إنت بس شاطر في إرادة الموت، آدي ٧٧ فشل، شوف حاجة تانية، أي حاجة، بس أرجوك أرجوك انقذه.

(ثم تتخبط في بكاء قصير، تكف عنه وهي لاتزال منكفئة فوق الجهاز.)

(آدم ينهار على الكرسي ذي المسندين ويجلس نفس جلسته في بداية الفصل الثالث وقد أبعد ساقيه وتدلّت ذراعه علامة الاستسلام الكامل.)

(موسيقى)

آدم: إنتي إذا كنتي زعلانة على أرنب مات، أعمل إيه أنا في إنسان عزيز، أعز إنسان، خلاص قدام عيني أهه بينتهي ويموت؟

نارة: كفاية مغالطات، الإنسان ده مامتش ولا حيموت، كل اللي حصل إنه فشل، والفشل له علاج، إنما فين العلاج للي حصل لـ ٩٥؟

آدم: فشلي ده زي الموت، لأنه آخر فشل، ضاعت آخر فرصة الأقي فيها سبب واحد يدعوني إني أعيش، المصل ٧٧ كان آخر طلقة، آخر استغاثة حشدت فيها آخر ما أملكه من ذكاء وقدره، والنتيجة أهه.

(نارة تحقق فيه دون أن تطرف أو تحوّل عينيها أو تتطرق.)

عندك حق، كل اللي بتقوليه بنظراتك مضبوط، أنا نفسي باحتقر نفسي، ما فيش حد أتاحت له فرص أنه يعمل بحياته حاجة قدي، وما فيش حد خيب الأمل قدي، قولي، انطقي، ماعدشي فيه مساعدة وعالم، اللي موجود شاهدة ومتّهم، اشتهمني حتى لو عايزة، أي حاجة أهون من نظراتك دي.

نارة (بأدئة بصوت منخفض جدًا لا يكاد يسمع مُتصاعدة به شيئًا فشيئًا): إنت لا خايب ولا فاشل ولا متّهم، ولا حتى أقدر أقول إنك جبان أو خواف، مشكلتي إزاي أقدر أفهمك مأساتك، إزاي أوريك إنك عرّضت نفسك لقضايا كبيرة جدًا، من إنقاذ البشرية، لاكتشاف إرادة الحياة والموت، للوصول لحاجات لم يصل إليها بشر، حاجات أكبر منك بكثير، ومش معنى كدة إنك صغير، أو معدوم المزايا، بالعكس إنت تعتبر أحسن من ناس كثير، تعتبر بالنسبة للناس العاديين كبير، بس المأساة الحقيقية بقى إنك مش كبير كفاية، القضايا اللي عرّضت نفسك لها ما يكفيهاش مجرد قلب كبير ولا حتى حب كبير، قضايا عايزة واحد كبير جدًا، وقلب كبير جدًا، واحد من اللي بيصنعوا التاريخ، بيغيروا في مجرى الحياة، في حين إنك لا تصلح إلا متفرج على التاريخ، متفرج كبير صحيح، إنما مجرد متفرج، الفرق بين اللي بيصنعوا التاريخ واللي بيتفرجوا عليه، اللي بيغيروا الحياة واللي بيعيشوا الحياة، إن دكهم ناس عندهم القدرة والطاقة على الحب النادر، اللي بيخلق الإرادة النادرة اللي بتقدر تستحضر في الإنسان

قوة غير عادية، بتقدر تسخر فيه كل نبضة وكل فكرة، وكل ذرة وحركة، لخدمة الهدف اللي عايزين يحققوه، الناس اللي بيقدروا يحبوا لآخر المدى، لحد الجنون والهوس، يحبوا من غير ما يحسبوا ولا يفكروا ولا يدخروا انفعال. فشلت في علاقتك مع هيلدا لأنك خفت من عاصفة الحب اللي قابلتك بها، خفت لأنك حسيت إنك لازم تقابلها بعاصفة حب أكبر، حب يسيطر عليك هو، مش حب زي ما انت عايزه على قدك تسيطر عليه إنت، وتقدر تتحكم فيه. تجاربك بتفشل لأنها مجرد وسائل تبقى بيها عالم ومشهور وتأخذ جوايز ومناصب، مع إن المفروض في واحد اختار الحياة والموت موضوع يبحث فيه، إنه ياخده قضية حياة أو موت، قضية واحد مآمن وحبيب الحياة إلى درجة الجنون وكاره الموت كره حقيقي لا مكان فيه للتفكير في جوايز أو مناصب، اللي يكتشف الإرادة دي لازم يكون عاشق نادر للحياة وللإنسان، مأساتك إنك المحب اللي مهما كان كبير فهو صغير لأن هدفه صغير وبيحققه بإرادة صغيرة، والمحبين الصغار اللي زيك كثير قوي، مالبين الدنيا، إنما أسوأهم هما الصغيرين المتكرين في أثواب الكبار.

آدم: نارة!

نارة: أنا خيبة أمل فيك خيبت أمل في الحياة كلها وفي نفسي، أنا كنت فرحانة إنني جاية أشتغل مع راجل كبير، مصيبة كبرى إنني أكتشف إن جواه قلب فار مذعور، بيخاف على نفسه حتى إنه يتحب بجنون، الدنيا ما بيضيعهاش إلا الناس اللي زيكم، الطموحين جدًا، اللي حاطين قدام عينيهم أكبر وأعظم أهداف، مش عشان تتحقق، إنما عشان يا هما اللي يحققوها، يا عنها ما اتحققت، عشان هما اللي يركبوها ويسخروها. أنا قرفانة، منك، ومن كل اللي زيك، قرفانة من الناس اللي أكثر م الناموس اللي الحياة عندهم هي إنهم يعيشوا وبس، مش مهم ازاي، إنما المهم إنهم يفضلوا موجودين، يتلذذوا على قفاهم مش مهم، يعيشوا زي الدود ما يجراش حاجة، ييجوا للدنيا بالملايين ويقضوا العمر على قد ما يقضوه ويسيبوها وكأنهم ما كانوا، لا اتغير حاجة فيهم ولا غيروا في الدنيا حاجة، إذا كنتم أنتم الأحياء، فالموت أنظف وأشرف وأنبل ودليل حياة أنصع، وقدامك أهه، أنا، المرة دي، اللي حقوم بتجربة أثبت لك فيها إن الإنسان

الحقيقي لا يمكن يحتمل حياة زي حياتكم، يا نعيش حقيقي بني آدمين، يا ننهيهها بإدينا ونموت، الحياة ما اتخلقتش أبدًا لبني آدمين يعيشوها فيران، يا سيدي الفار الصغير المتشبت بحياته الصغيرة ... بص.

(بسرعة هائلة تتناول حقنة من مصل الموت وتفرغها في فخذها الأيمن، ويحدث هذا كله في ومضة مفاجئة بحيث ما إن يبدأ آدم يتبين حقيقة ما حدث حتى تكون نارة قد أفرغت محتويات الحقنة تمامًا في جسدها.)

(يهجم عليها آدم وينتزع الحقنة من فخذها ومن يدها، ويصفرُ وجهه رعبًا حين يراها فارغة تمامًا.)

آدم: إزاي تعملي كدة؟! تموتني نفسك عشان تثبتيلي إني صغير؟! دا لا أنا ولا غيري ولا تافهين الدنيا كلها يساوي ضفر من ضوافرك، تنتحري؟! إنتي مش عارفة انتي مين؟ إنتي نارة، نارة، نارة، عارفة يعني إيه نارة؟ تموتي يا نارة؟ إزاي تموتي؟ دا انتي نارة، نارة، نارة!

نارة (بصوت خفيض وإن كان قد بدأ ينخفض): إنت اللي مش عارف نارة تبقى مين.

آدم: إزاي مش عارف؟ أنا عارف، دلوقتي بس عرفت الحاجة اللي عمري ما عرفتها، نارة، إنتي ...

نارة (مواصلة بنفس الطريقة والطبقة): ولا يمكن ح تعرف، أنا مش نارة يا دكتور آدم، أنا هي.

آدم: إيه؟! إنتي إيه؟! إنتي ... هي؟! إيه الكلام اللي بتقوليه ده؟ إنتي عايزة تفجعيني أكثر وخلاص، أرجوكي، أنا عايز أنقذك، وما فيش قدامي غير نص ساعة، «هي» ما طلعت هيلدا وفشلنا معاها الفشل الأعظم وانتهينا.

نارة (بابتسامة وقد بدأ صوتها يضعف): فشلك الأعظم كان معايا، هيلدا كانت شجرة التمر حنة، فاكرك؟ عفيت عنها وعملت هالك ست عشان تحرك فيك أي قدرة

على الحب.

أدم: هيلدا كانت شجرة التمر حنة؟ وإيش عرفك بشجرة التمر حنة؟ وإيش عرفك ببيها؟ (ثم وكأنه لأول مرة يُدرك) إوعي تكوني «هي»؟! الله، إوعي بجد تكوني هي، هو ده معقول؟ «هي» مش ممكن تنتحر، دي عارفة كويس إنها أمل الدنيا الوحيد، معقول تضيعه ببساطة كدة؟

نارة: أنا مش بانتحر في لحظة يأس، وبموتي ما با اضيعشي حاجة، أنا ما قررتش أموت إلا لما انتهى كل شيء وضاعت الفرصة الأخيرة وفشلت معاك، وأنا ما اقدرشي أعيش أتسول أمل.

أدم: تتسولي أمل؟ أنا حتجنن، تتسولي ازاي؟ الأمل موجود طول ما انتي عايشة، ولازم تعيشي عشان ما يموتشي، المهم تعيشي، حياتك هي الأمل، مجرد حياتك أمل.

نارة (بضعف أكثر): أهو دا السراب اللي بتضحكوا بيه على نفسكم عشان ما تواجهوش الحقيقة، وبالذات لما الحقيقة بتبقى اليأس، لو تياسوا مرة يأس حقيقي تواجهوه وتبقوا مسئولين عنه، أشرف لكم ألف مرة من حياة ذليلة جبانة بتهربوا فيها حتى من مسئولية اليأس.

أدم: اسمعي! دا كله كلام فارغ، أي منطق ولو نازل م السما مستحيل يقنعني إنك تموتي، «هي» مش ممكن تموت (تكون قد بدأت تتهار فيحملها بين يديه كالطفلة ويدور بها كالمجنون في المعمل).

نارة (وقد بدأ صوتها يضعف تمامًا): أنا أهو باسلم وجنس بحاله بيلفظ معايا آخر أنفاسه، كل اللي حيبقى منه حكاية، حكايتي معاك، اعتبرها كانت حلم، أحسن له إنه يفضل حلم، وإنه بعد شوية ينتسي ...

(تغمض عينيها وتروح في غيبوبة الموت.)

أدم (بفرع مخيف): مستحيل، مش ممكن، إنتي مش حلم، إنتي حقيقة أهه، وعليّ أنا إنها تفضل عايشة، «هي» إنتي سامعاني يا نارة، لازم تسمعيني، لا يمكن تموتي،

إنّتي «هي» ربة الحياة لا يمكن تموت، حقيقة ولّا حلم، أنا صغير ولّا كبير، قادر ولّا مش قادر، لازم أعملها ولوحدي ضد المحتوم، مفيش محتوم، ما فيش موت، مش ممكن البشاعة تنتصر، مش ممكن الهزيمة تنتصر، يا كل الحياة اللي عاشت قبلي عشان أنا أعيش، يا كل الحياة اللي حتعيش بعدي لما أعيش، يا اللي من دودة عملتني راجل، لازم حتقدر من راجل تعملني قادر، وإرادتي تبقى أمر، وأمري نافذ، إوعى يا قلب تبطل دق، إوعى يا جسم تسلم، يا حياتي دوبي في حياتها، يا إرادتي اعلمي إرادتها، أنا وصلت، بالرعب الكامل وصلت، أنا باتغير، شيء مهول بيحصل لي، لأول مرة في حياتي باحس إني قادر على كل شيء. إزاي كنت عميان عن الحقيقة، الموت مش النهاية، مش ممكن يكون النهاية وإلا لكان كل شيء حي انتهى وراح، الحياة هي الرد المستمر على الموت، إنزيم الحياة لا بد هو الموت نفسه، هو أصغر جرعة من إنزيم الموت.

(فجأة تتوب حالة الهياج المنشرح والتفاؤل إلى انقباض مفاجئ.)

بس إزاي نحددها، أنهي أصغر جرعة؟ لأي درجة نخفف إنزيم الموت؟ ماعدشي قدامي إلا بالكثير خمس دقائق، يا دوب يسمحوا بتجربتين، ول لازم أبتدي فوراً، أبتدي بآيه؟ الألف أنسب بداية، واحد على ألف، وناخذ واحد سنتي (ينشغل بوضع مقادير صغيرة من مصل الموت في أنابيب مدرجة يخففها بالماء، ويقيس، ثم يأخذ قطرة من المحلول المخفف يضعها في مقادير أخرى، ويخففها، وهكذا).

(يملأ حقنة سعتها سنتي متر بالمحلول المخفف ويحقن بها نارة، وبرتقب مخيف ينتظر النتيجة، تظل نارة مغمضة العينين كالجثة الهامدة.)

آدم: التجربة الأولى فشلت، ماعدشي إلا التجربة الأخيرة، ماعدشي إلا رقم أقامر عليه بكل حاجة، بحياتها وحياتي وحياة آلاف الملايين، يا ربي، اللعبة أكبر من طاقتي، أواجه إزاي ميت ألف احتمال، كل احتمال منها زي الوحش الكاسر المخيف، اللحظة فاصلة، عايزة مخ أكبر من مخي وقدرة أكبر من قدرتي يا رب، عايزة استدعاء القوة الخارقة الأعظم، يا رب آخر شمعة حب في الكون في ثواني ح تتطفي ويسود الظلام

إلى الأبد، وإذا ماتت ح اموت (يمسك بيده حقنة ممتلئة ويرفعها) بحقنة الموت دي ح احط لنفسى النهاية، يا رب، اعطيني كل قوتك، يا أيتها القوة الخارقة الأعظم (باستغاثة منبعثة من كل ذرة في كيانه) النجدة! (كما يتحوّل دوي القنابل إلى عزف كمان، يتحوّل صوته المرعوب المستغيث الذي يُطلقه وكأنما ليسمعه لكل قوى الكون، يتحوّل إلى همس خاص لا يُخاطب به سوى نفسه) سبعة، أيوة سبعة، العدد سبعة بيلح، من زمان بيلح، من زمان شايفه وسامعه ومش قادر أبعدّه، كل ما اطرده ألتقت ألقاه، يكونشي ده الجواب؟ يكونشي القوة الخارقة الأعظم بترد؟ سبعة، لازم يكون سبعة، أنا ماعدتش متأكد من حاجة إلا إن الرقم اللي أنا عايزه سبعة، التخفيف واحد على سبعة آلاف والكمية سبعة سنتي، هكذا ومنذ الأزل تقرر (ينشغل في عمليات التخفيف المستمرة وهو يقول): يا آخر أمل في آخر لحظة في آخر عمل حاقوم به في حياتي.

(أخيرًا يملأ الحقنة، وببدا ترتجف بالانفعال، وبدموع بلا وعي قد بدأت تهطل، يدفع الحقنة في وريد نارة التي كان قد أرقدها فوق البنش، وببطء يحقن المحلول، يسحب الإبرة، يمسك يدها ليجس النبض، العرق يتفصّد من كل جسده ويختلط بالدموع، بكفه يمسح عن عينيه العرق والدموع ليستطيع الرؤية، هو في حالة ترقب لم تحدث لإنسان بمثل تلك القوة. فجأة، وكأول قطرات تتدفّق من الحياة، تفتح نارة عينيها، يُحدّق فيها لحظة بعينين مرعوبتين، ثم فجأة تصدر عنه وبأعلى صوت صرخة.)

آدم: النبض رجع.

(تبدأ نارة تتنفس.)

التنفس راحر.

(يبدأ التنفس ينتظم ويقوى.)

(ينكفى آدم برأسه على يديه ويبيكي ويُنهنه ويمسح دموعه في كُم البالطو.)

(نارة أو «هي» تفيق وتبدأ تجول بعينيها حتى تقعا عليه، فتمد يدها بضعف وتضعها فوق رأسه، يكفُّ عن البكاء، يرفع رأسه إليها وهو يضم يديها بيديه ويُقبلهما،

تستدير نارة بوجهها لتقابله، وفجأة تبتسم بعذوبة.)

آدم: وكمآن ببتنسمي؟ يا سلام أول مرة أحس يعني إيه ابتسامة، دا الحياة كلها مجرد ابتسامة زي ابتسامتك دي.

نارة (بصوت ضعيف تبدأ تتسرب إليه شيئاً فشيئاً القوة): لازم قدرت تكتشف المصل، إزاي وصلت له قبل ما اموت ازاي؟

آدم: مش عارف ... مش عارف ازاي.

نارة: لازم خفت عليّ قوي.

آدم: خفت وبس؟! دا الرعب اللي حصل لي عمره ما حصل لبشر.

نارة: طبعاً لأنك عرفت إن اللي حتموت «هي» مش نارة.

آدم: بس أنا ما كنتش مرعوب على هي ولا كنت بانقذها.

نارة: إيه؟ أمال كنت بتتنقذ مين إن ما كانشي هي؟

آدم: الحقيقة كنت بانقذ نارة.

نارة: ناره؟! بقى نارة كانت أهم عندك من هي؟

آدم: نارة اللي اكتشفت بالضبط في لحظة ما بافقدتها إني باحبها حب عمري ما تصورت إني قادر عليه، حب من ضخامته ما كنتش شايفه، حب اتأكدت في الحال إنه حبي الكبير المجنون اللي كان مخليني متمسك بالحياة عشان أحس بيه.

نارة: طب وهي؟ دا «هي» كانت كل أمانيك وأحلامك، حبك ورسالتك وإيمانك، هي كانت كل حاجة بالنسبة لك، دا حتى شكلاً، عمرك ما تصورت إنك تحب واحدة زي نارة، طول عمرك تدور على واحدة زي هيلدا من نوع تاني خالص.

آدم: يا خبيثة، إنتي عارفة كويسة قوي إيه النوع اللي باحبه، وعشان كدة دخلتي حياتي، إحنا مش بنحب بأحلامنا، إحنا بس بنحلم بحرماننا، إنما لما بنحب بنحب

بحقيقتنا.

نارة: طب ما أنا كنت جنبك طول الوقت.

آدم: ما هو ده الغريب، أحياناً بيبقى أبعد الناس عنا هم أقرب الناس لينا، زي ما أحياناً بيبقى أقرب الناس لينا هم أبعدهم عنا.

نارة: طب اعدلني أرجوك.

آدم: لا لا لا لا ... ما فيش داعي، خليكى مستريحة، بلاش أي مجهود، جسمك لسنة كله على حافة الحياة.

نارة: أرجوك اعدلني.

آدم: ليه بس؟

نارة: اعدلني وأنا أقول لك.

(بحرص بالغ وكأنها من زجاج يعدلها.)

آدم: خسارة المجهود ده كله.

نارة: أبداً ... مش خسارة إني أبوسك.

آدم: تبوسيني تهنيني يعني؟ وعلى إيه التعب؟

نارة: أبوسك حب يا دكتور، يا آدم يا اللي استتيته إنه يلقاني كثير، ويئست وامت عشان ألقاه.

آدم: بس أنا فعلاً زي ما قلتي صغير، مش كبير كفاية، أنا ما اتخلقتلكيش، إنتي عايزة واحد قادر على الحب المجنون النادر اللي أنا ما أقدرشي عليه.

نارة: اللي يعمل اللي عملته، وعشان يحيي نارة يكتشف في لحظات وبمجهود خارق معجز، مصل إرادة الحياة عشان يحييها مش بيقى بس قادر على الحب النادر،

دا يبقى إنسان فريد، ظاهرة، مش كبير وبس، مثل أعلى للكبار.

آدم: بس أنا ما ليش فضل في اللي حصل، دا منك، إنتي اللي عملتي مني كدة.

نارة: ما أنت راخر اللي خلقتني، أنا كنت مت فعلاً واللي عايشة قدامك واحدة من صنعك إنت، قرب، أنا مشتاقة لك وكأني عمري ما شفتك، قرب، عايزة أبوسك، آن الألوان بقى إننا نخلق الجنس التالت الجديد.

(يقتربان وقبل أن تتلامس شفاههما يُسدل الستار.)

(ستار)

الفهرس

برولوج

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع